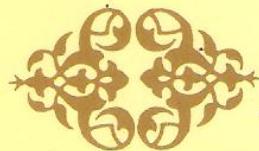


تَحْقِيق

أَحْمَدَ شَفِيقَ رَاجِي

طَارَ أَبْنُ دَزْمٍ





المنهج السلوكي
في
ترجمة الإمام النووي

جَمِيعَ الْحَقُوقِ محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٨ - ١٩٨٨ م



دار ابن حزم

للطباعة والنشر والتوزيع - ص. ب: ٦٣٦٦ / ١٤

المنهاج السيوسي
في
ترجمة الأمام النووي

للأمام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي

تحقيق
أحمد شفيف رميج

دار ابن حذيفه

«وَجَرَى لِي مَعَهُ وَقَائِعٌ، وَرَأَيْتُ مِنْهُ أُمُوراً تُحْتَمِلُ مُجَلَّداتٍ».

ابن العطّار



٤١

إلى أخي الرّاحل، محمد علي عزّام.

جمعتنا الأخوة في ظلالها الوارفة، مُذْسِعِينَا معاً في مَدَارِجِ الصِّبا،
فعرفتُ فيه صفاء النفس ونقاء السريرة وصدق المودة... ثم فارقنا
يُحْدِّثُهُ الأمل باللقاء، فما تحقق الرجاء.

إِلَى الَّذِي غَادَرَ الدُّنْيَا، وَلِسَانُهُ يَلْهَجُ بِذِكْرِ الْأَجْبَةِ، وَقَلْبُهُ الغَضْ
يَخْفِقُ لِلْقِيَاهُمْ.

إلى روحه الطاهرة، ونفسه الراضية..

أُقْدِمُ هَذَا الْكِتَابُ

تقديمة

الحمد لله وحده لا شريك له، حمدًا يُقرّبنا إلى رضوانه،
وصلاة الله وسلامه على نبي المصطفى، صلاة تزلّفنا إلى جنته.
وبعد..

فقد عني المسلمون عنية بالغة بترجمات الرجال، على اختلاف
أعصارهم وأمصارهم، وتتنوع طبقاتهم واحتياجاتهم، فأفردوا لذلك
المصنفات الكثيرة، ووضعوا المؤلفات الراخدة، حتى أننا لا نبالغ إذا قلنا
أن المكتبة الإسلامية هي أغنى مكتبات الأمم بكتب الترجم.

فعلى مرّ عصور الإسلام الزاهرة، نبغ علماء أجياله، قبسوا من
مشكاة النبوة، فسطعت أنوارهم، وسارت بمحاسنهم الركبان، واشتهرت
فضائلهم في سائر البلدان، وشئت إليهم الرحال، وكانوا منائر للعلم،
وأعلاماً للحق والهدى، حتى إذا ما طويت صفحة حياتهم المُثمرة، جاء
من بعدهم قوم أخلصوا لهم الوفاء، فذكروا محسانهم ودونوا مآثرهم،
اعتقاداً منهم بأنّ التاريخ الحقيقى لكلّ أمة، إنما هو تاريخ النابغين فيها.

والكتاب الذي بين أيدينا، يضم بين دفتيره سيرة أحد أولئك الأعلام
الكبار، هو الشيخ الإمام القدوة، الحافظ الزاهد، العابد الفقيه، المجتهد
الرباني، شيخ الإسلام، محبي الدين، يحيى بن شرف النووي كما

وصفه الإمام الذهبي، وقال فيه الإمام ابنُ كثير: «كان على جانب كبير من العلم والعمل والزهد والتقوف، والاقتصاد في العيش، والصبر على خشونته، والتّورّع الذي لم يبلغنا عن أحدٍ في زمانه، ولا قبله بـ١٠٠٠ عامٍ طویل». وقال السّبكي: «ما اجتمع بعدَ التابعين المجموع الذي اجتمع في النّووي، ولا التّيسير الذي يُسّر له».

والإمام السّيوطى، الذي كان من أوسع علماء عصره ثقافةً وأخصّ بهم إنتاجاً، عَرَفَ عظيمَ فضل النّووي وعلمه، وأدرك سُمُّ متنزّلته وعلوّ شأنه، فخصّ بهذا الكتاب، عارضاً سيرة حياته مُستقصياً فيها أخباره وما ترَأَفَهُ ومناقبه. وقد جمع مادّة كتابه من مخزون كتب التراجم والسير، وأكثَرَ النّقل عن الشيخ ابن العطار^(*) تلميذ النّووي وترجمانه.

(*) هو الشيخ الإمام، الحافظ الزاهد، علاء الدين بن داود بن سليمان بن سليمان، أبو الحسن بن العطار، الشافعى. ولد سنة ٦٥٤ أربع وخمسين وستمائة. سمع الحديث واشتغل على الشيخ محى الدين النّووي، حتى كان يُلقب بـ«محى النّووي». ولد دار الحديث النورية، ومرض بالفالع أزيد من عشرين سنة! كتب الكثير وحمله، ودرس، وأفتى، وصنَّف أشياءً مفيدة.

قال الذهبي: خرجت له مُعجمًا في مجلد، انتفع به، وأحسن إلى باستجازته لي كبار المشيخة، وله فضائل.

وقال ابن كثير: له مصنفات مفيدة وتخاريج ومجاميع.

وقال غيره: هو أشهر أصحاب النّووي وأخصّ بهم، لزمه طويلاً وخدمه وانتفع به، وله معه حكايات، واطّلع على أحواله وكتب مصنفاته، ويُپض كثيراً منها.

وقد وضع ابن العطار كتاباً في ترجمة شيخه النّووي، أسماه: «تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محى الدين»، كتبه سنة ٧٠٨، وعنه نقل كلٌّ من ترجم للنّووي فيما بعد. (الكتاب لم يطبع بعد، وهو قيد التحقيق كما جاء في نشرة معهد المخطوطات العربية، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة توبنجن).

توفي بدمشق عن سبعين سنة سنة ٧٢٤ أربع وعشرين وسبعمائة. (طبقات السّبكي: ٦/٦٤٣، البداية والنهاية: ١١٧، شذرات الذهب: ٦/٦٤، ٨٥-١: Brockelman g)

وبعد، فهذا كتاب جليل، داني القطوف، عذب المورد، نُخرجه للقراء، رجاء أن يؤدي غرضه من النفع والإفادة.

وفي الختام، لا يفوتي أن أقدم خالص شكري للصديق الدكتور (فورنياس) Forneas، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة غرناطة في إسبانيا، الذي أمدّ لي يد المساعدة حين شرعت في تحقيق الكتاب، وكانت إذاك في حمى مدينة غرناطة، بالأندلس الأغر.

وأسجل شكري الوافر للدكتور (ليخ) Klaus lech، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة (بون)، الذي قدم لي صورة عن النسخة المخطوطة للكتاب، المودعة في مكتبة (برلين).

والى الأخوين الكريمين عبدالحكيم فهمي كسيين، وجابي سيف الدين، تقديري وشكري.

ولا أنسى فضل أخي وشقيقتي، علاء دمج، الذي بذل لهذا الكتاب كلّ عنايته وجهده، واضططلع بعيشه، حين قعدت بي أسباب المرض، حتى خرج على صورته.

أسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقنا لخدمة شريعته، ورفع رايته، ونصرة دينه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أحمد شفيق دمج

في بيروت، غرة شهر رجب ١٤٠٨ هـ.

١٩ شباط ١٩٨٨ م.

توثيق الكتاب وتحقيقه

نسبة الكتاب:

أشار الإمام السيوطي، في كتابه «حسن المحاضرة»، عند ذكر تصانيفه، إلى أنه وضع كتاباً في ترجمة الإمام النووي، لكنه لم يصرّح باسمه.

وللكتاب مخطوطات عدّة منتشرة في بعضٍ من مكتبات العالم^(*)، وقد نسب الكتاب في جميعها للسيوطى .
ولم أقف على أيّ نسخة مطبوعة منه.

اسم الكتاب:

اختلف عنوان الكتاب في المخطوطتين اللتين اعتمدتهما:
فورد في نسخة (الاسكورىال): «المنهج السنوي في ترجمة الإمام النووي».

وعنوان الكتاب في نسخة (برلين) هو: «المنهج السوي في ترجمة الإمام النووي».

(*) وهي :

نسخة في مكتبة برلين (رقم ١٠١٢٦)، وفي مكتبة الاسكورىال (رقم ١٧٤٩)، وفي مكتبة جوته (رقم ١٨٤٧)، وفي مكتبة توبينجن (رقم ١٩)، وفي المكتبة الظاهرية (رقم ٦٠٨٢)، وفي دار الكتب المصرية (رقم ٣٩٤٣).

وقد رجّحنا هذا الأخير، لوروده في أكثر النسخ المخطوطة:
فقد اعتمدته (بروكلمان) حين عدّ مؤلفات السيوطي (Brockelman:) .
II: 143, 158, S, I: 680

وورد في مخطوطة (توبنجن)، (فهرس المخطوطات العربية المصورة، ج ١).

وورد في مخطوطة دار الكتب الظاهرية (فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، ج ٢ ص ٤٨٤).

وذكره البغدادي في إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، (ج ٢ ص ٥٩١)

النسخ المعتمدة في التحقيق:

واعتمدت في تحقيق الكتاب على نسختين:
الأولى: نسخة مكتبة (الاسكوريال)، المحفوظة تحت رقم (١٧٤٩)، وهي نسخة مكتوبة بقلم معناد، بخط محمد بن أحمد المقربي، الشهير بالمدني، وفرغ من كتابتها يوم الثلاثاء في شهر صفر سنة (٩٩٥) خمس وتسعين وتسعمائة تقع في (٣٩) ورقة، في كل صفحة (١٥) سطراً، ومتوسط الكلمات في كل سطر (١٦) كلمة. وقد أُضفت العناوين بخط مخالف. وهي نسخة حسنة، مقروءة، لكن سقطت منها بعض الكلمات، ووقع الناسخ بعدد من الأخطاء.

وقد رمّنا لها بالحرف (E).

(**) مع أن كمال العمل من الناحية العلمية يتضمن الاطلاع على المزيد من النسخ، إلا أن هذا وللأسف كان متعدراً في ظل ظروف راهنة.

الثانية: نسخة مكتبة (برلين) وتحمل الرقم (١٠١٢٦)، كتبت بقلم معناد، بخط عبد الرحمن (كذا، ولم يذكر اسمه كاملاً)، وكان الفراغ من كتابتها يوم السبت، الثالث في شهر ذي الحجة من سنة (١٢٠١) مائتين واحد وألف. تتألف من (١٦) ورقة، في كل صفحة (٢٩) سطراً، ومتوسط الكلمات في كل سطر (٩) كلمات. وهذه النسخة أفضل من سابقتها، واضحة، وأنخطاؤها يسيرة.

وقد رمنا لها بالحرف (B).

منهجنا في التحقيق:

كان عملي في تحقيق الكتاب سائراً - بفضل الله تعالى - وفق الخطوات التالية:

- قارنت بين النسختين اللتين بحوزتي، ولم أثبت في مجموع المتن إحداهما، لغياب النسخة الأم التي كتبها المؤلف بخطه، بل لفقت بينهما واخترت ما رأيته مناسباً وموصلاً إلى النص السليم الذي قصد إليه المؤلف.

- لم أشر إلى الاختلافات بين النسختين إلا إذا كان احتمال صحة ما ورد في كليهما واحداً، وأثبته في الحاشية.

- أعملت جهدي بضبط النص وشرح ما استغلق من الفاظه، وشكّلت ما رأيته بحاجة إلى الشكل.

- أغفلت الإشارة إلى الأخطاء الواضحة والصريحة.

- أشرت إلى مواضع النصوص التي نقلها المؤلف، من المصادر التي تيسّرت لي، وإن لم تكن هي المصادر الأساسية لتلك النصوص. وقد

فدت في ذلك بصورة رئيسية، من كتاب السخاوي في ترجمة النwoي (***) والذي تضمن الكثير من تلك النصوص، التي نقلت عن لسان ابن العطار، إذ إنّ السخاوي قد أورد كتاب ابن العطار جملةً، وعلق عليه.

- خرجت الأحاديث والأيات وعرفت بأكثر الأعلام.

وإنني أرجو أن أكون قد وفقت إلى خدمة هذا الكتاب وإخراجه بصورة صحيحة، فإن كنت أصبت فمن الله سبحانه، وإن أخطأت فمن نفسي.

إِنْ تَجِدْ عَيْبًا فَسُدَّ الْخَلَا جَلَّ مَنْ لَا عَيْبٌ فِيهِ وَعَلَا

والله من وراء القصد.

رموز وأصطلاحات:

- وضعت بين معقوفين <...> ما لم يتضح لي رسمه ومعناه في الأصلين المخطوطتين.

- وما بين حاصلتين [. . .]، فهو ساقط في أحد المخطوطتين، مثبت في الآخر. أو ساقط في كليهما ومثبت في مصادر موثوقة، ولا يُستغني عنه لتمام المعنى.

- أما الحاصلتين []، فهما للإشارة إلى سقط محتمل في كلا المخطوطتين لا يغير المعنى، وقد استقيناها من مصادره، وأثبناها في الحاشية.

(**) طبع في القاهرة، سنة ١٣٠٤ هـ (١٩٣٥ م)، بعناية محمود حسن ربيع.

المناج السوى فترجمة دمام المنورى
جمع العالم العلاة والخزير المفهامة
حافظة الحلة والدربي وارث علوم
النبار والمرسلين لحافظ
عبد الرحمن السبوطى
رضى الله عنها
وعنابهم
امين

مصور الغلاف من نسخة (B)

مصور الصحافة الأولى والأخيرة من نسخة (B)

اللهم مغفراتك أدعها من فتنه ولما كرمتني وفتحت لي باباً من الأبواب أدعها من فتنه

وأنت يا رب العالمين أدعها من فتنه وآتنيك يا رب العالمين ملائكة خير

وأنت يا رب العالمين أدعها من فتنه وآتنيك يا رب العالمين ملائكة خير

وأنت يا رب العالمين أدعها من فتنه وآتنيك يا رب العالمين ملائكة خير

وأنت يا رب العالمين أدعها من فتنه وآتنيك يا رب العالمين ملائكة خير

وأنت يا رب العالمين أدعها من فتنه وآتنيك يا رب العالمين ملائكة خير

وأنت يا رب العالمين أدعها من فتنه وآتنيك يا رب العالمين ملائكة خير

وأنت يا رب العالمين أدعها من فتنه وآتنيك يا رب العالمين ملائكة خير

وأنت يا رب العالمين أدعها من فتنه وآتنيك يا رب العالمين ملائكة خير

وأنت يا رب العالمين أدعها من فتنه وآتنيك يا رب العالمين ملائكة خير

وأنت يا رب العالمين أدعها من فتنه وآتنيك يا رب العالمين ملائكة خير

وأنت يا رب العالمين أدعها من فتنه وآتنيك يا رب العالمين ملائكة خير

وأنت يا رب العالمين أدعها من فتنه وآتنيك يا رب العالمين ملائكة خير

وأنت يا رب العالمين أدعها من فتنه وآتنيك يا رب العالمين ملائكة خير

وأنت يا رب العالمين أدعها من فتنه وآتنيك يا رب العالمين ملائكة خير

وأنت يا رب العالمين أدعها من فتنه وآتنيك يا رب العالمين ملائكة خير

وأنت يا رب العالمين أدعها من فتنه وآتنيك يا رب العالمين ملائكة خير

وأنت يا رب العالمين أدعها من فتنه وآتنيك يا رب العالمين ملائكة خير

وأنت يا رب العالمين أدعها من فتنه وآتنيك يا رب العالمين ملائكة خير

كتاب سلسلة السنوي

في حمد الشيخ الأمام محيي
الدز التوقيع عليه
للشيخ الأمام
العاشر العلامة الشيخ خلال الذي عينه العزيز
رسوخ العالمة العادمة
كان الذي ينفعني
في نور به كأني به في بيته يذكر إلام
وبعد بحث من يلقيه السعد لمن سمع صر
ورسمها به

مصور الغلاف من نسخة (E)

ترجمة المؤلف
الإمام السيوطي^(*)
(١٤٤٥ - ٩١١ هـ) (١٥٠٥ م)

نسبه ونشأته:

هو الإمام جلال الدين أبو الفضل، عبد الرحمن، بن الكمال أبي بكر محمد، بن سابق الدين، بن الفخر عثمان، بن ناظر الدين محمد، ابن سيف الدين خضر، بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب، بن ناصر الدين محمد، بن الشيخ همام الدين الخصيري الأسيوطى. هكذا ذكر نسبه في كتابه «حسن المحاضرة».

ولد مستهل رجب سنة ٨٤٩ تسع وأربعين وثمانمائة بأسيوط. نشأ يتيمًا، وحفظ القرآن وهو دون ثمانين سنين، وشرع في الاشتغال بالعلم من مستهل سنة أربع وستين.

(*) أفرد السيوطي لنفسه ترجمة في كتابه «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة»، عند الحديث عنمن كان بمصر من الأئمة المجتهدین.

- وانظر أيضًا في ترجمة السيوطي:
الضوء اللامع، للسحاوي: ٤/٦٥ - ٧٠.
الكوكب السائرة، للغزّي: ١/٢٢٦ - ٢٣١.
النور السافر، للعيديروسي: ٥٤ - ٥٨.
البدر الطالع، للشوکانی: ١/٣٢٨ - ٣٣٥.
هدية العارفین، للبغدادی: ١/٥٣٤ - ٥٤٤.

مصنف بين كتب ورسائل ومقامات، وتناولت علوماً متعددة كالتفسير والحديث والفقه والنحو والبلاغة والتاريخ والأدب والأصول والتصوف وعلوم القرآن والتوحيد.

من مصنفاته: *المزهر* (في اللغة)، والإتقان في علوم القرآن، والأشباه والنظائر (في النحو)، والدر المتشور في التفسير بالتأثر، والجامع الصغير (في الحديث، وغيرها^(**)).

والسيوطى من اتسع لهم باع التأليف في فن الترجم، فله طبقات المفسرين وبُغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة. وقد خصّ بعض العلماء بالترجمة، وأفرد لكلٍّ منهم كتاباً في مناقبه ومآثره. مثل: ترجمة البلقيني، وتزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، والمكتون في ترجمة ذي النون، وكتاب المنهاج السُّوي، وهو الذي بين أيدينا.

وفاته:

كانت وفاة السيوطى - رحمه الله - يوم الخميس تاسع جُمادى الأولى سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة، ودُفن بجوار خانقاہ قوصون، خارج باب القرافة، بعد أن ملأ الدنيا علماً وفضلاً وشهرة وذِكراً.

(*) انظر: أحمد الشرقاوى إقبال: مكتبة الجلال السيوطي، دار المغرب - الرباط، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م).

المنهاج السُّلُوكي
في
ترجمة الأمانة الرومي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العزيز الحكيم، الرؤوف الرحيم، ولا حَوْلٌ ولا قُوَّةٌ إِلَّا خطبة الكتاب
بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. وأشهد أن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحدهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، رَبُّ
السموات والأرض وما بينهما ورَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً
عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، الْمُخْصُوصُ بِالْاَصْطِفَاءِ وَالْتَّكْرِيمِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أُولَى الْفَضْلِ الْعَمِيمِ الْجَسِيمِ.

هذه أوراق فيها ترجمة^(١) الشِّيخِ الإِمامِ، شِيخِ الإِسْلَامِ، وَلِيِّ اللَّهِ
تَعَالَى، مُحَمَّدِ الدِّينِ، أَبِي زَكْرِيَا النَّوْوَيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، ذَكَرْتُ فِيهَا بَعْضَ
مَنَاقِبِهِ الْكَرِيمَةِ وَسَمَّيْتُهَا: «الْمَنَهَاجُ السُّوَيِّ»^(٢)، فِي ترجمةِ الإِمامِ
النَّوْوَيِّ». فَأَقُولُ:

هو الإمام أبو زكريا، مُحَمَّدِ الدِّينِ، يَحْيَى بْنُ شَرَفَ بْنُ مُرِي (بضم نَبِ الإِمامِ النَّوْوَيِّ)
الميم وكسر الراء، كما رأيْتُه مُضبوطاً بخطه)، ابن حسن بن حسين بن
محمد بن جمعة بن حِزَام^(٣) (بكسر الحاء المهملة وبالزاي المعجمة)،

(١) في E: ترجمت فيها.

(٢) في E: السنوي.

(٣) في طبقات السبكي: ٥/٦٥: ابن حِزَامَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنَ جَمِيعَةَ.

فَالْنَّوَوِيُّ^(١) ثُمَّ الدَّمْشِقِيُّ^(٢)، مُحَرِّرُ الْمَذْهَبِ وَمُهَذِّبُهُ، وَمُحَقِّقُهُ وَمُرْتَبُهُ.
إِمامُ أَهْلِ عَصْرِهِ عِلْمًا وَعِبَادَةً، وَسَيِّدُ أَوَانِهِ وَرَاعِيَا وَسِيَادَةً. الْعِلْمُ الْفَرْدُ،
فِدْوَنُهُ وَاسْطَةُ الدُّرُّ وَالْجُوَهْرُ، السَّرَاجُ الْوَهَاجُ، فِعْنَدُهُ يُخْفَى الْكَوْكَبُ
الْأَزْهَرُ. عَابِدُ الْعُلَمَاءِ وَعَالَمُ الْعَبَادِ، وَزَاهِدُ الْمُحَقَّقِينَ وَمُحَقِّقُ الزُّهَادِ. لَمْ
تَسْمَعْ بَعْدَ التَّابِعِينَ بِمَثْلِهِ أَذْنُ، وَلَمْ تَرَ مَا يَدَانِيهِ عَيْنُ، وَجَمِعَ لَهُ فِي الْعِلْمِ
وَالْعِبَادَةِ مُحْكَمُ النَّوْعَيْنِ.

رَاقِبُ اللَّهِ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ، وَلَمْ يَرْجِعْ طَرْفَةَ عَيْنٍ عَنْ امْتِنَالِ أَمْرِهِ،
وَلَمْ يُضِيِّعْ مِنْ عُمْرِهِ سَاعَةً فِي غَيْرِ طَاعَةِ مَوْلَاهُ، إِلَى أَنْ صَارَ قُطْبَ
عَصْرِهِ وَحْوَى مِنَ الْفَضْلِ مَا حَوَاهُ، وَبَلَغَ مَا نَوَاهُ، فَتَشَرَّفَتْ بِهِ نَوَاهُ، وَلَمْ
يَكُنْ^(٣) لَهُ مَنْ نَاوَاهُ. [مِنَ الْكَامِلِ]

وَإِذَا الْفَتَى لِلَّهِ أَخْلَصَ سِرَّهُ فَعَلَيْهِ مِنْهُ رَدَاءٌ طِيبٌ يَظْهُرُ^(٤)
وَإِذَا الْفَتَى جَعَلَ إِلَهَهُ مُرَادَهُ فَلِذِكْرِهِ عَرْفٌ ذَكِيٌّ يُنْشَرُ^(٥)

أَثْنَى عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ، وَقَبَّلَ كَلَامَهُ النَّائِي وَالْأَلْفُ، وَشَاعَ
ثَنَاؤُهُ الْحَسَنُ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ، [وَنُشِرتْ لَهُ رَايَةُ مَجْدِ]^(٦) تَخْفَقُ فِي
الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ. مِنْ سَلْكِهِ أَيْقَنَ بِرُوْضَةِ قَطْوَفَهَا دَانِيَةُ، وَمِنْ
تَتَّبِعُ آثَارَهُ فَهُوَ مَعُ^(٧) الصَّالِحِينَ فِي رِيَاضِ عِيُونُهَا جَارِيَةُ، وَمِنْ لَزَمَ أَذْكَارَهُ

(١) نسبة إلى نوى، قرية في حوران من أعمال دمشق، وهي مسقط رأسه.

(٢) وقد أقام الشيخ بدمشق نحوًا من ثمان وعشرين سنة، وابن المبارك رحمه الله يقول:
من أقام بيلد أربع سنين، نسب إليها.

(٣) في E: لم يُلفَ.

(٤) طيب، (الطيب): ما يُطَيِّبُ به من عطر أو نحوه، أو: الْخَلُّ.

(٥) العرف: الرائحة الطيبة.

(٦) ساقطة: في E.

(٧) في B: من.

ومذهب أخلاقه فالخير فيه مجموع^(١)، ومن استقى من بحره ظفر بأروى وأصفى ينبع.

فيه ثبت الله أركان المذهب والقواعد، وبين مهمات الشرع والمقاصد، فطابت منه المصادر والموارد، وعذبت مناهله للصادر والوارد، وليس على الله^(٢) بُمُسْتَنْكِرَ أن يجمع العلم في واحد.

وقال فيه الشيخ تاج الدين السبكي في طبقاته^(٣): [] [] ^(٤) أستاذ شاه الناج السبكي عليه السلام الطبقات المتأخرین وحجّة الله على اللاحقین، ما رأی الأعین أزهد منه في يقظة ولا منام، ولا عاینت أكثر اتباعاً منه لطرق السالفین^(٥) من أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. له التصانیف المفیدة والمناقب الحمیدة، والخصائیل التي جمعت طارف كل فضل وتلیده^(٦)، والورع الذي خرب به دنیاه وجعل دینه معموراً، والزهد الذي کان به يحبی سیداً وحصوراً، هذا إلى قدر في العلم، لو أطل على المجرة لما ارتضی سرباً في أعطانها^(٧)، أو جاور الجوزاء لما استطاب مقاماً في أوطانها، أو حل في دارة الشمس^(٨) لأنف من مجاورة سلطانها. وطالما فاه بالحق^(٩) لا تأخذه

(١) المنهاج، والروضة، ورياض الصالحين، والأذكار، والتهذيب، والمجموع: من مصنفات النروي رحمه الله.

(٢) في E: وليس لله.

(٣) الطبقات الوسطى، نقلأ عن السخاوي: ٦٠.

(٤) [الشيخ الإمام، شيخ الإسلام]، ذكرها السبكي . (المصدر السابق).

(٥) في E: السالكين.

(٦) الطارف: الحديث، والتلید: القديم.

(٧) سرباً في أعطانها: السرب هو الإبل الراعي، والعطن (لإبل): كالوطن للناس.

(٨) دارة الشمس: هالتها.

(٩) فاه بالحق: نطق به.

لومة لائم، ونادى بحضره الأسود الضراغم، وصدع بدين الله بمقال ذي سريرة يخاف يوم تُبلى السرائر، ونطق معتصماً بالباطن الطاهر، غير متلَّفت إلى الملك الظاهر، وقبض على دينه والجمر مُلتهب، وصمم على مقاله والصارخ للأرواح متذهب. لم يزل رحمه الله طول عمره على طريق أهل السنة والجماعة^(١)، مواطباً على الخير، لا يصرف ساعة في غير طاعة».

ثاء ابن فضل الله عليه في المسالك
وقال ابن فضل الله في المسالك^(٢): «شيخ الإسلام، عَلَمُ الْأُولَيَاءِ قُدُوْةُ الزَّهَادِ، وَرَجُلُ عِلْمٍ وَعَمَلٍ، <وَنِجَاهُ سُؤْلٍ وَأَمْلٍ>^(٣) وَكَامِلٌ، قَلَّ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ مِنْ كَمْلٍ. وُفِّقَ لِلْعِلْمِ وَسُهْلَ عَلَيْهِ، وَيُسْرَ لَهُ وَسِيرٌ إِلَيْهِ.

مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ نَوْيٍ، مِنْ كِرَامِ الْقِرَى وَكَرَامَةِ أَهْلِ الْقِرَى، لَهُمْ بَهَا بَيْتٌ مُضِيْفٌ لَا تُخْمَدُ نَارُهُ، وَدارُ قَرَى لَا تُحْمَلُ مَنَارَهُ.

طَلَعَ مِنْ أَمْمَ سَادَاتٍ وَجَمِيعِ لَكْرَمِهِمْ عَادَاتٍ، وَجَمِيعُ لَهُمْ أَطْرَافُ السَّعَادَاتِ.

وَنَبَتَ فِيهِمْ نَبَاتاً حَسَناً، وَنَبَغَ ذَكَاءُ وَلَسِنَـاً، وَأَتَى دَمْشَقَ مُتَلَقِّيَاً لِلْأَخْذِ مِنْ عِلْمَائِهَا،

مُتَقَلِّلاً مِنْ عَيْشَهَا، حَتَّى كَادَ يَعْفُ فَلَا يَشْرُبُ مِنْ مَائِهَا. فَنَبَّهَ شُكْرَهُ،

وَنَهَبَ^(٤) مَدِيَ الْآفَاقِ ذَكْرَهُ، وَحَلَوَ اسْمَهُ^(٥)، وَذُكْرُ تَصْنِيفِهِ وَعِلْمِهِ».

(١) ساقطة في B.

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: لشهاب الدين، أحمد بن يحيى بن محمد الكرماني العمري الشافعي، المعروف بابن فضل الله، الكاتب الدمشقي، المتوفى سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة، وقد جعل الكتاب في قسمين: الأول في الأرض، والثاني: في سكان الأرض. يقع في مجلدات عدة.

(٣) كذا، في الأصلين.

(٤) في E: لهب.

(٥) حَلَوَ اسْمَهُ: طاب.

فلما توسد الملك الظاهر^(١) أمانيه <وجدمته>^(٢) نفسه من الظلم بما كاد يأتي قواعده من مبانيه، وكتب له من الفقهاء من كتب، وحمله سوء رأيه على بيع آخرته بشيء من الذهب، ولم يُقْ سواه، فلما حضر هابه، وألقى إليه الفتيا، فألقاها وقال له: «لقد أفتوك بالباطل، ليس لك أخذ معونة حتى تنفذ أموال بيت المال، وتعيد، أنت ونساؤك^(٣) ومماليكك وأمراؤك، ما أخذتم زائداً عن حكمك، وتردوا فواضل بيت المال إليه». وأغلظ له في القول. فلما خرج قال: اقطعوا وظائف هذا الفقيه ورواتبه.

- فقيل له^(٤): إنه لا وظيفة له ولا راتب.

- قال: فمن أين يأكل؟

- قالوا: مما يبعث إليه أبوه.

- فقال: والله لقد همت بقتله فرأيت كان أسدًا فاتحًا فاه بيني وبينه لو عرضت له لالتقمني.

ثم وقر له^(٥) في صدره ما وقر، ومد إليه يد المسألة^(٦) يسأله وما افتر.

(١) بيبرس بن عبد الله، السلطان الأعظم، الملك الظاهر، ركن الدين، أبو الفتح الصالحي، صاحب البلاد المصرية والشامية والخلبية. كان من خاصة خدم الملك الصالح نجم الدين أيوب، ولم تزل همته تعلو به حتى صار أتابك العساكر بمصر، ثم توَّل سلطنة مصر والشام بعد مقتل الملك المظفر قطز، وتلقب بالملك الظاهر.

كان ملكاً غازياً مجاهداً مؤيداً عظيم الهمة، خليقاً للملك، يُضرب بشجاعته المثل، له أيام بيض في الإسلام، وفتوحات مشهورة ومواقف مشهودة، مع التتار والإفرنج، ولو لا ظلمه وجبروته في بعض الأحايين لعدّ من الملوك العادلين، (قاله الذهبي في العبر). توفي سنة ٦٧٦ ست وسبعين وستمائة، فخلفه في ولاية السلطة ابنه الملك السعيد محمد.

(البداية والنهاية: ١٣/٢٧٤، شدرات الذهب: ٥/٣٥٠، الأعلام: ٢/٥٨).

(٢) لم توضح رسماها، ولعلها كذا، و(جدم): قطع.

(٣) ساقطة في: B.

(٤) ساقطة في: B.

(٥) ساقطة في: E.

(٦) في E: المسالمة.

ثم كانت سمعة النواوي التي شرقت وغربت وبُعدت وقربت.
وعظم شأن تصانيفه، وبيان البيان في مطاول تأليفه، ثم هي اليوم محجّة
الفتوى، وعليها العمل وما تمّ^(١) سوى سببها^(٢) الأقوى.

قال تلميذه الشيخ علاء الدين بن العطار في ترجمته التي جمعها

شہادۃ تبلیغہ ابن الطارنی

له:

أوحد عصره وفريد دهره، الصوام القوام، الزاهد في الدنيا،
الراغب في الآخرة، صاحب الأخلاق الرضية والمحاسن السنّية، العالم
الرباني المتفق على علمه وأمانته وجلالته وزهده، وورعه وعبادته،
وصيانته في أقواله وأفعاله وحالاته. له الكرامات الواضحة. والمؤثر بنفسه
وماله للمسلمين، والقائم بحقوقهم وحقوق ولاده أمرورهم بالنصح والدعاء
في العالمين. ولد في العشر الأوسط من المحرم^(٣) سنة إحدى وثلاثين
وستمائة بِنْوَى.

قال ابن العطار:

وذكر لي بعض الصالحين الكبار أنه ولد وكتب من
كراهة له في صفر، الصادقين - ونشأ بها وقرأ القرآن. فلما بلغ سبع سنين - وكانت ليلة
السابع والعشرين من رمضان - قال والده: «وكان نائماً إلى جنبي، فانتبه
نحو نصف الليل وأيقظني»، وقال:

- يا أبّت ما هذا النور الذي قد ملأ الدار؟!.

فاستيقظ أهله جمِيعاً ولم نر شيئاً، فعرفت أنها ليلة القدر».

(١) في B: ثم، و: ثم = صلح.

(٢) السبب: الطريق أو الحبل.

(٣) ذكر الأسنوي أنه ولد في العشر الأول. (الطبقات: ٤٧٧/٢).

بلغ العشرين والقليل الشيخ
الراكشي^(١) من أولياء الله تعالى، فرأه الصبيان يكرهونه على اللعب
معهم، وهو يهرب منهم ويبيكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحالة.
قال: فوقع في قلبي محبته. وجعله أبوه في دكان، فجعل لا يشتغل في
البيع والشراء عن القرآن.

قال الشيخ ياسين: «فأتيت الذي يقرئه القرآن فوضّيته به وقلت له:
ـ هذا الصبي يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزدهم، ويتنفع
الناس به».

ـ فقال: أمنِجْمَ أنت؟
ـ قلت: لا، وإنما أُنطقني الله بذلك.
ـ ذكر ذلك لوالده، فحرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز
الاحتلام^(٢).

قال ابن العطار:

قال الشيخ: «فلما كان عمري تسع عشرة سنة، قدم بي والدي إلى
دمشق، سنة تسع وأربعين، فسكن المدرسة الرواحية^(٣). وبقيت نحو
ستين لم أضع جنبي إلى الأرض، وكان قوّتي فيها جرأة المدرسة لا
غير».

(١) الشيخ الصالح ياسين بن عبدالله المغربي الراكشي، الحجام الأسود. كان صاحب
كشف وحال، وكان النسووي رحمه الله يزوره ويتعلم له، توفي في ربيع الأول سنة
٦٨٧، سبع وثمانين وستمائة. (البداية والنهاية: ٣١٢/١٣، شذرات الذهب: ٤٠٢/٥).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ٣٩٦/٨.

(٣) المدرسة الرواحية: كانت لصيحة بجامع الأموي من جهة باب الشرقي (باب التوفة)، =

قال: «وحفظت التنبيه^(١) في أربعة أشهر ونصف، وحفظت ربع المذهب^(٢) في باقي السنة».

قال: «ولمّا قرأت قول التنبيه: (يجب الغسل من إيلاج الحَشَفة^(٣))، كنت أظن أنها قرقة الجوف^(٤)، وقعدت مدة أغسل منها بالماء البارد حتى تشقق ظهري».

قال: «وجعلت أشرح وأصحح على شيخنا، الإمام العالم الزاهد الورع أبي إبراهيم إسحق بن أحمد بن عثمان المغربي الشافعي^(٥)، ولازمته فأعجب بي، لما رأى من اشتغالِي وملازمتي وعدم اختلاطي

= وبيانها: زكي الدين بن رواحة، أبو القاسم، التاجر المعروف بابن رواحة والمتوفى سنة ٦٢٢، اثنين وعشرين وستمائة.

(١) التنبيه: في فروع الشافعية للشيخ أبي إسحق إبراهيم بن علي الشيرازي الشافعى المتوفى سنة ٤٧٦ ست وسبعين وأربعين، وهو أحد الكتب الخمس المشهورة المتدالوة بين الشافعية.

(٢) المذهب: في الفروع، للشيرازي أيضاً، وهو كتاب جليل القدر اعنى بشأنه فقهاء الشافعية، وشرحه كثيرون، منهم الإمام النووي بلغ فيه إلى باب الربا.

(٣) الحَشَفة: ما يكشف عنه الختان في عضو التذكرة.

(٤) قرقة الجوف: صوت البطن.

(٥) الكمال إسحق بن أحمد بن عثمان المغربي، الشيخ المفتى الإمام الفقيه الشافعى المغربي، ثم المقدسي، أحد مشايخ الشافعية وأعيانهم، كان إماماً عالماً فاضلاً مقيماً بالرواحية، أعاد بها عند ابن الصلاح عشرين سنة، وقد أخذ عنه جماعة منهم الإمام النووي، وقد قال فيه في أوائل تهذيب الأسماء واللغات: أول شيوخى الإمام المتفق على علمه وزهره وورعه وكثرة عبادته وعظيم فضله وتميزه في ذلك على أشكاله. وقال غيره: كان متصدراً للإفادة والفتوى، وكان كبير القدر في الخير والصلاح متيقن الورع عرضت عليه مناصب فامتنع ثم ترك الفتوى وقال: في البلد من يقوم مقامي. له أوراد كثيرة ومحاسن جمة. توفي عن نيف وخمسين سنة، سنة ٦٥٠ خمسين وستمائة ودفن بتربة الصوفية. (تهذيب الأسماء واللغات: ١٨/١، شدرات الذهب: ٢٤٩/٥).

باليهود، وأحبني محبة شديدة، وجعلني مُعيد^(١) الدرس في حلقة لأكثر الجماعة».

قال: «فلما كانت سنة إحدى وخمسين، حججت مع والدي وكانت [الوقفة تلك السنة يوم الجمعة]^(٢)، وكانت رحلتنا من أول رجب، فأقمت بمدينة النبي ﷺ نحوً من شهرٍ ونصف».

قال والده: ولما توجّهنا للرحيل من نوى، أخذته الحُمَّى إلى يوم عرفة. قال: ولم يتأوهْ قط، فلما عُدنا إلى نوى، ونزل [هو]^(٣) إلى دمشق، صبَّ الله عليه العلم صبًا، فلم يزل يشتغل بالعلم، ويقتفي آثار شيخه أبي إبراهيم إسحاق في العبادة، من الصلاة وصيام الدهر والزهد والورع [٤]. فلما توفي شيخه ازداد اشتغاله بالعلم والعمل، وحجَّ مِرْأة^(٥) أخرى.

قال ابن العطار:

قال لي شيخنا القاضي أبو المفاحير محمد بن عبد القادر الأنصاري^(٦): لو أدرك القشيري صاحب الرسالة^(٧) شيخكم وشيخه، لما

(١) في الأصلين: أعياد، والتوصيب من تاريخ ابن الفرات: ٧، والسعدي: ٦.

(٢) في الأصلين: [وقفة الجمعة] والتوصيب من السعدي: ٦.

(٣) ساقطة في الأصلين: والإثبات من السعدي: ٦.

(٤) [وعدم إضاعة شيء من أوقاته]، كما في السعدي: ٦.

(٥) في بـ: حجّة.

(٦) قاضي القضاة الإمام عز الدين أبو المفاحير محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق الأنصاري الدمشقي الشافعي المعروف بابن الصائغ. كان عارفًا بالمذهب، بارعاً في الأصول والمناظرة وكان مشكور السيرة، له عقل وتدبر واعتقاد كثير في الصالحين. ولـي القضاء ثم امتحن فعزل وسجن، ثم خُلص وانقطع بمنزلة في بيته إلى أن توفي في ربيع الآخرة سنة ٦٨٣ ثلث وثمانين وستمائة. (مرآة الجنان: ٤/١٩٩، البداية والنهاية: ١٣/٣٠٤، شذرات الذهب: ٥/٣٨٣).

(٧) الرسالة القشيرية، في التصوف، للإمام أبي القاسم عبد الكريـم بن هوازن القـشيري

قدم عليهما في ذكره لمشايخهما أحد، لما جمع فيهما من العلم والعمل والزهد والورع، والنطق بالحكمة وغير ذلك.

قال: وذكر لي الشيخ قال: كنت أقرأ كل يوم اثنى عشر درساً على المشايخ شرحاً [وتصححاً]^(١): درسین في الوسيط^(٢)، ودرساً في المذهب^(٣)، ودرساً في الجمجم بين الصحيحين^(٤)، ودرساً في صحيح مسلم^(٥)، ودرساً في اللمع لابن جنی^(٦)، ودرساً في إصلاح المنطق لابن السکیت^(٧) في اللغة، ودرساً في التصريف، ودرساً في أصول الفقه، ودرساً في أسماء الرجال^(٨)، ودرساً في أصول الدين^(٩).

= الأستاذ الشافعی المتوفی سنة ٤٦٥ خمس وستين وأربعمائة.

(١) ساقطة في الأصلين: والإثبات من: مرآة الجنان: ٤/١٨٣، طبقات السبکي: ٤٤٢/٨، والسعادی: ٦.

(٢) الوسيط: (في الفروع)، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالی الشافعی المتوفی سنة ٥٠٥ خمس وخمسين، وهو ملخص من بسيطه مع زيادات. وهو أحد الكتب الخمسة المتداولة بين الشافعية.

(٣) الجمجم بين الصحيحين: للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الحمیدي الأندلسی المتوفی سنة ٤٨٨ ثمان وثمانين وأربعمائة.

(٤) صحيح مسلم: الجامع الصحيح، وهو أحد الصحيحين من الكتب الستة، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النیسابوری المتوفی سنة ٢٦١ واحد وستين ومائين.

(٥) اللمع: (في النحو)، لأبي الفتح عثمان بن جنی الموصلي النحوی المتوفی سنة ٣٩٢ اثنين وتسعين وثلاثمائة، جمعه من كلام شیخه أبي علي الفارسی. اعتنى به جماعة وله شروحات كثيرة.

(٦) إصلاح المنطق: للشيخ الأديب يعقوب بن إسحق الشهير بابن السکیت اللغوي المتوفی سنة ٢٤٤ أربع وأربعين ومائين. وهو من الكتب المختصرة الممتعة في الأدب. له شروحات كثيرة.

(٧) أسماء الرجال: علم يعني بمعرفة أحوال الرجال رواة الحديث.

(٨) المذکور أحد عشر درساً فقط.

قال: و كنت أغلق جميع ما يتعلّق بها من شرح مشكل وإيضاح عبارة وضبط لغة. قال: «وبارك الله لي في وقتِي و اشتغالِي وأعاني عليه. قال: وخطر لي الاشتغال بعلم الطب، فاشترى القانون^(١) محاولة اشتغاله بعلم الطب وعزمت على الاشتغال فيه، فأظلمت على قلبي، وبقيت أياماً لا أقدر على الاشتغال بشيء، ففكّرت في أمري، ومن أين دخل على الداخل، فألهمني الله تعالى أن سببِي اشتغالِي بالطب، فبعث في الحال الكتاب المذكور، وأخرجت من بيتي كُلَّ ما يتعلّق بالطب، فاستنار قلبي، ورجع إلى حالِي، وعدت إلى ما كنت عليه أوّلاً»^(٢).

(١) القانون (في الطب): للشيخ الرئيس أبي علي حسين بن عبدالله المعروف بابن سينا المتوفى سنة ٢٨٤ هـ ثمان وعشرين وأربعين. وهو من الكتب المعتبرة.

(٢) يعلق السخاوي على هذا الكلام فيقول، ص ٦: «فإن قيل: كيف هذا مع ما نقل كما روينا في مناقب الشافعى للبيهقي، من طريق الريبع بن سليمان: سمعت الشافعى يقول: العلم علماً، علم فقه للأديان وعلم طب للأبدان. ونحوه عن ابن عبد الحكم عن الشافعى، وزاد: وما سوى ذلك بلغة مجلس. ورواه محمد بن يحيى بن حسان عن الشافعى فقال: وما سوى ذلك من الشعر ونحوه فهو عناء وتعب؟ فالجواب: أن الذي مدحه الشافعى رحمة الله هو الطب النبوى أو المعجرد عن أصول الفلسفه، الذى صرخ صاحب القانون فى أوله، بابتناء الطب المورد فى كتابه عليها، وأن الطبيب يتعلم ما يبنى عليه من العلم الطبيعي، ولذلك اعتبرى الشيخ رحمة الله بمجرد عزمه على الاشتغال فى الكتاب المذكور ما أشار إليه، لما رزقه الله من نور البصيرة، وأبداه له بصلاح السريرة، خصوصاً وعنده من الطب المحمود ما يفوق الوصف. على أن أبا بكر بن طاهر سئل عن معنى قول الشافعى، فقال: عند العوام، أن علم الأديان هو ظاهر الفقه، وعلم الأبدان هو ظاهر الطب. وعند الحكماء، أن علم الأديان هو علم مشاهدة القلوب بالمعاملات، بصنع الله وتدبیره، وهو الفقه النافع. وعلم الأبدان هو ظاهر أوامر الله تعالى ذكره، ونواهيه في الحلال والحرام، وهو حجة الله على خلقه، وهو الطب النافع. فعلم القلوب عين الإسلام وحقائقه، وعلم الأبدان هو آداب الإسلام وشرائعه، وقد قال حرملة بن يحيى: إن الشافعى يتلهف على ما ضيّع المسلمين من الطب، ويقول: ضيّعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى. اهـ».

قال : «وكنت مريضاً بالمدرسة الرواحية ، فيينا أنا في بعض الليالي
في الصفة الشرقية منها ، والدي وإخوتي وجماعة من أقاربي نائمون إلى
جنبي ، إذ نشطني الله وعافاني من الحمى فاشتاقت نفسي إلى الذكر ،
فجعلتُ أسبوعاً ، فيينا أنا كذلك ، بين الجهر والإسرار ، إذا شيخ حسن
الصورة جميل المنظر ، يتوضأ على حافة البركة وقت نصف الليل أو
قريب منه ، فلما فرغ من وضوئه أتاني ، وقال لي :

يا ولدي لا تذكر الله تعالى ، تشوش على والدك وإخوتك وأهلك
ومَنْ في هذه المدرسة .

- فقلت: يا شيخُ من أنت؟.

- فقال: أنا ناصحٌ لك، ودعني أكون من كنت.

فُوْقَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ إِبْلِيسُ، فَقَلَّتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَرَفَعَتْ صَوْتِي بِالتَّسْبِيحِ، فَأَعْرَضَ عَنِّي وَمَشَى إِلَى نَاحِيَةِ بَابِ الْمَدْرَسَةِ، [فَأَنْبَهَتْ وَالَّذِي وَالْجَمَاعَةُ عَلَى صَوْتِيِّيِّ، فَقَمَتْ إِلَى بَابِ الْمَدْرَسَةِ]^(١) فَوُجِدَتْ مَقْفُلًا، وَفَتَّشَتْهَا فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا أَحَدًا غَيْرَ مَنْ كَانَ فِيهَا، فَقَالَ لَيِّ وَالَّذِي: يَا يَحْيَى، مَا خَبْرُكَ؟ فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ. فَجَعَلُوا يَتَعَجَّبُونَ، وَقَدْعَدُنَا كُلُّنَا نُسَبِّحُ وَنَذَكِرُ».

(١) ما بين الحاضرتين ساقط في: B، والصواب إثباته كما في: E.

ذكر شيوخه

قال ابن العطار:

نقلت من خط الشيخ رحمه الله أنه قرأ على القاضي أبي الفتح شيخه في الله عمر بن بندار التفلسي^(١): المنتخب للرازي^(٢)، وقطعة من المستصفى^(٣)، وغير ذلك^(٤)!

وعلى الشيخ فخر الدين المالكي اللمع لابن جني.
وعلى أبي العباس أحمد بن سالم المصري النحوي^(٥) إصلاح

(١) قاضي القضاة كمال الدين أبو الفتح عمر بن بندار بن عمر التفلسي الشافعى ، كان فقيهاً أصولياً بارعاً، سمع وحدث. توفي بالقاهرة سنة ٦٧٢ اثنين وسبعين وستمائة. (طبقات الأنسوى : ٣١٧/١، البداية والنهاية : ٢٦٧/١٣).

(٢) منتخب المحسول في الأصول: لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الرازى الفقيه المفسر الشافعى المتوفى سنة ٦٠٦ ست وستمائة.

(٣) المستصفى: (في أصول الفقه) للإمام الغزالى.

(٤) ساقطة في: B.

(٥) الشيخ أحمد بن سالم المصري النحوي ، نزيل دمشق ، فقير متزهد محقق للغريبة اشتغل بالناصرية وبمقصورة الحنفية مدة ، وتوفي سنة ٦٦٤ أربع وستين وستمائة . (مرآة الجنان : ٤/١٦٣ ، شذرات الذهب : ٥/٣١٤).

المنطق في اللغة بحثاً، وكتاباً في التصريف. قال: «وكان لي عليه درس إما في [كتاب]^(١) سيبويه^(٢) أو غيره»، (الشك منه)^(٣).

وعلى الإمام جمال الدين بن مالك^(٤) كتاباً من تصانيفه، وعلق عنه أشياء كثيرة.

وعلى أبي إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي^(٥) صحيح مسلم شرحاً ومعظم البخاري^(٦) وقطعة من الجمع بين الصحيحين للحميدي.

شيخ في الحديث

(١) ساقطة في الأصلين، وإثباتها من السخاوي: ١٠.

(٢) وهو كتاب: «الكتاب» المشهور في النحو: لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبوه المتوفى سنة ١٧٧ سبع وسبعين ومائة.

(٣) يعني: من ابن العطار.

(٤) العلامة حجة العرب جمال الدين أبو عبدالله، محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني - نسبة إلى جيان بالأندلس - نزيل دمشق. خالف المغاربة في حسن الخلق والسماء والمذهب، أتقن لسان العرب حتى بلغ الغاية فيه، وكان إماماً في القراءات وعللها، إما اللغة فكان إليه المتنهى فيها. كان ينظم الشعر سهلاً عليه. هذا مع ما عليه من الدين المتين والصدق ورقة القلب وكمال العقل. روى عنه النووي وغيره. توفي بدمشق سنة ٦٧٢ اثنين وسبعين وستمائة. من تصانيفه: الألفية، وهي أشهر من أن تذكر، وكتاب تسهيل الفوائد في النحو، وكتاب الكافية، وكتاب العمدة وشرحها، وغير ذلك. (طبقات الأسنوي: ٤٥٤/٢، شذرات الذهب: ٣٣٩/٥).

(٥) ضياء الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي الأندلسي ثم المصري ثم الدمشقي، الفقيه الشافعي، الإمام الحافظ المتقن المحقق الضابط الزاهد الورع، كان بارعاً في معرفة الحديث وعلومه وتحقيق ألفاظه، ذا عنایة بالفقه والنحو واللغة و المعارف الصوفية. توفي بمصر في أوائل سنة ٦٦٨ ثمان وستين وستمائة. (طبقات الأسنوي: ٤٥٣/٢، شذرات الذهب: ٣٢٦/٥).

(٦) الجامع الصحيح المشهور بصحيح البخاري، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ ست وخمسين ومائتين. وهو أول الكتب الستة في الحديث وأفضلها.

وقرأ على جماعة من أصحاب^(١) ابن الصلاح^(٢) علوم الحديث له.

وعلى أبي البقاء خالد بن يوسف النابلسي^(٣) الكمال في^(٤) أسماء الرجال، للحافظ عبد الغني [المقدسي]^(٥)، وعلق عنه حواشى وضبط عنه أشياء حسنة.

وأخذ الفقه عن شيخه إسحاق المغربي، وكان يتأنب معه كثيراً، ويملأ له الإبريق ويحمله معه إلى الطهارة.

وأخذ عن الكمال سلار بن الحسن الإربلي^(٦)، وعن الإمام

(١) ساقطة في: B.

(٢) عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الإمام العلامة، مفتى الشام ومحدثها، الشهير زوري ثم الدمشقي المعروف بابن الصلاح. طلب العلم في بلاد شتى، أقام بالقدس، ثم تحول منه إلى دمشق ودرس في مدارسها. صنف كتاباً كثيراً مفيدة في علوم الحديث، وطبقات الفقهاء وأدب المفتى، وشرح مشكل الوسيط، كلها حسان ومفيدة، وله الرحلة وهي عبارة عن فوائد جمعها في رحلته إلى الشرق، وله الفتاوی، وقد جمعها بعض طلبه. كان ديناً زاهداً ورعاً ناسكاً وعلى طريق السلف الصالح. توفي سنة ٦٤٣ ثلاث وأربعين وستمائة. (البداية والنهاية: ١٣/١٦٨، شذرات الذهب: ٥/٢٢١).

(٣) زين الدين خالد بن يوسف بن سعد، الحافظ اللغوي أبو البقاء النابلسي ثم الدمشقي، كان عالماً بأصول الحديث، حافظاً لأسماء الرجال، وقد اشتغل عليه في ذلك الشيخ التوسي وغيره. كان فهماً يقطأ حلوا النوادر، توفي سنة ٦٦٣ ثلاث وستين وستمائة). تذكرة الحفاظ: ٤/١٤٤٧، البداية والنهاية: ١٣/٢٤٦، شذرات الذهب: ٥/٣١٣).

(٤) ساقطة في: B.

(٥) ساقطة في الأصلين، واستدركناها من السخاوي وغيره.

(٦) الكمال سلار بن الحسن بن عمر بن سعيد الإربلي الشافعى، الإمام العلامة، مفتى الشام ومفيدة، أبو الفضائل، صاحب ابن الصلاح، شيخ الأصحاب ومفید الطلاب،

عبدالرحمن بن نوح المقدسي^(١)، وأبي حفص عمر بن أسعد بن أبي غالب الربعي الإربلي^(٢).

وسمع الحديث عن أبي الفرج عبدالرحمن بن أبي عمر المقدسي^(٣)، وإسماعيل بن أبي اليسر^(٤)، وأبي العباس بن عبدالدائم^(٥)، وخالد النابلسي، وعبدالعزيز بن أحمد بن عبدالمحسن

= تفقه على ابن الصلاح، وانتفع به خلق كثير، منهم التوسي. وقد اختصر البحر للروياني في مجلدات عدة. توفي سنة ٦٧٠ سبعين وستمائة. (الأسنوي: ٦٩/٢، البداية والنهاية: ٢٦٢/١٣، شذرات الذهب: ٣٣١/٥).

(١) شمس الدين، عبد الرحمن بن نوح المقدسي، الفقيه الشافعي، مدرس الرواحية بدمشق. تفقه على ابن الصلاح وكان أجل أصحابه وأعترف لهم بالمذهب، سمع من ابن الربيدي وغيره. توفي سنة ٦٥٤ أربع وخمسين وستمائة. (البداية والنهاية: ١٩٥/١٣، شذرات الذهب: ٢٦٥/٥).

(٢) أبو حفص عمر بن أسعد بن أبي غالب الربعي الإربلي. (تهذيب الأسماء واللغات: ١٨/١، وصفه التوسي بالإمام المتقن، ولم يزد على ذلك، وذكره السبكي في الطبقات: ٣٠٨/٨، دون ذكر وفاته، ولم أعثر عليه في سواه).

(٣) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان المقدسي النابلسي، الفقيه الحنبلي المحدث. سمع بالقدس وحدث بنابلس. كان له سعة وفيه فضل. توفي سنة ٦٥٦ ست وخمسين وستمائة. (شذرات الذهب: ٢٧٨/٥).

(٤) إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي المجد، مسند الشام، تقى الدين، شرف الفضلاء، أبو محمد التنوخى المعري الأصل الدمشقى، الكاتب المنشىء. له شعر جيد وبلاعنة وفيه خير وعدالة، توفي سنة ٦٧٢ اثنين وسبعين وستمائة. (فوات الوفيات: ١٧٠/١، شذرات الذهب: ٣٣٨/٥).

(٥) الشيخ زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد بن محمد المقدسي النابلسي، مسند الشام وفقيهها ومحدثها الحنبلي المذهب، الناسخ. تفرد بالرواية عن جماعة من المشايخ، وقد سمع ورحل إلى بلدان متعددة، كان فاضلاً متنبهاً حسن الخلق والخلق متواضعاً دينياً، روى عنه الأئمة الكبار منهم الشيخ محبي الدين =

الأنصاري^(١)، والضياء بن تمام الحنفي، والحافظ أبي الفضل البكري^(٢)، وأبي الفضل عبدالكريم بن عبدالصمد خطيب دمشق^(٣)، وعبدالرحمن بن سالم الأنباري^(٤)، وأبي زكريا يحيى بن أبي الفتح الصيرفي^(٥)، وإبراهيم بن علي الواسطي^(٦)، وغيرهم.

= النووي وابن دقيق العيد وابن تيمية، ولحق. توفي سنة ٦٦٨ ثمان وستين وستمائة.
(شذرات الذهب: ٣٢٥/٥).

(١) شيخ الشيوخ، شرف الدين عبدالعزيز بن محمد بن عبدالحسن الأنصاري. له محفوظات كثيرة وفضائل شهيرة، توفي سنة ٦٦٢ اثنين وستين وستمائة. (مرآة الجنان: ٤/١٦٠، شذرات الذهب: ٣٠٩/٥).

(٢) المحدث العالم المفید الرحال المصنف صدر الدين أبو علي الحسن بن محمد بن محمد القرشي التيمي البكري النيسابوري ثم الدمشقي المحتسب الصوفي، سمع منه الشيخ تقى الدين ابن الصلاح، ولـي حسبة دمشق ومشيخة الشيوخ. توفي سنة ٦٥٦ ست وخمسين وستمائة. (تذكرة الحفاظ: ٤/١٤٤٤، شذرات الذهب: ٢٧٤/٥).

(٣) العماد بن الحرستاني، أبو الفضائل، عبدالكريم بن القاضي جمال الدين عبدالصمد بن محمد الأنصاري الدمشقي الشافعـي. أفتى وناظر وخطب بدمشق وكان من جلة العلماء، له سمت وقار وتواضع. توفي سنة ٦٦٢ اثنين وستين وستمائة. (البداية والنهاية: ١٣/٢٤٣، شذرات الذهب: ٣٠٩/٥).

(٤) المفتى جمال الدين عبد الرحمن بن سالم بن يحيى الأنباري ثم الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة ٦٦١ واحد وستين وستمائة. (تذكرة الحفاظ: ٤/١٤٥٣).

(٥) المفتى المعمر، جمال الدين أبو زكريا يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح بن رافع الحرـاني الحنبـلي، ويعرف بـ ابن الحبـشي. سمع بـحرـان وبـغـداد وـدمـشـق. كان إماماً عالماً مـتفـنـاً صـاحـبـ عـبـادـةـ وـتـهـجـدـ وـصـفـاتـ حـمـيـدةـ، تـوـفـيـ سـنـةـ ٦٧٨ـ ثـمـانـ وـسـبـعينـ وـسـتـمائـةـ. (شـذـراتـ الـذهبـ: ٣٦٣/٥).

(٦) تقى الدين أبو إسحق إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي، الفقيـهـ الحـنبـليـ، الزـاهـدـ، شـيخـ الإـسـلـامـ، بـرـكـةـ الشـامـ، قـطـبـ الـوقـتـ. رـحـلـ فيـ طـلـبـ الـعـلـمـ وـالـحـدـيـثـ. ولـيـ فيـ آـخـرـ عمرـهـ مـشـيخـةـ دـارـ الـحـدـيـثـ الـظـاهـرـيـةـ. كانـ كـثـيرـ الـقـدـرـ، لـهـ وـقـعـ فيـ الـقـلـوبـ، يـعـودـ الـمـرـضـىـ وـيـشـهـدـ الـجـنـائـزـ، وـيـعـظـمـ الـحـرـمـاتـ، وـكـانـ مـنـ خـيـارـ عـبـادـ اللهـ.

ومن مسموعاته: الكتب الستة^(١)، والموطأ^(٢)، ومسانيد الشافعى وأحمد والدارمى وأبى عوانة وأبى يعلى، وسنن الدارقطنى والبىهقى، وشرح السنة^(٣) للبغوى وتفسيره، والأنساب للزبیرى، والخطب النباتية^(٤)، ورسالة القشيرى، وعمل اليوم والليلة لابن السنى^(٥)، وأدب السامع والراوى للخطيب^(٦)، وغير ذلك.

وسمع منه خلقُ من العلماء والحفظاء والصدور والرؤساء، وتخرج به خلقُ كثير من الفقهاء، وسار علمه وفتاویه في الآفاق، وانتفع الناس في سائر البلاد الإسلامية بتصانيفه وأكبوا على تحصيلها.

قال ابن العطار:

وذكر لي أنه كان لا يضيع وقتاً في ليل ولا نهار، إلا في وظيفة من

حرصه على علم تفسيره

= توفي سنة ٦٩٢ اثنين وسبعين وستمائة. (البداية والنهاية: ١٣ / ٣٣٣، شذرات الذهب: ٤١٩ / ٥).

(١) هي: صحيح البخاري، صحيح مسلم، الجامع للترمذى، السنن لأبى داؤد، سنن النسائي، سنن ابن ماجه.

(٢) الموطأ: (في الحديث) للإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة المتوفى سنة ١٧٩ تسع وسبعين ومائة. وهو كتاب قديم مبارك قد صد فيه جمع الصحيح.

(٣) شرح السنة: للإمام حسين بن مسعود البغوى، المتوفى سنة ٥١٦ ست عشرة وخمسين مائة.

(٤) الخطب النباتية: (في الأدب) لأبى يحيى عبد الرحمن بن محمد الفارقى، المتوفى سنة ٣٧٤ أربع وسبعين وثلاثمائة، ولها شروح.

(٥) عمل اليوم والليلة: للإمام الحافظ أحمد بن محمد المعروف بابن السنى الدينورى المتوفى سنة ٣٦٤ أربع وستين وثلاثمائة. وهو أجمع الكتب في هذا الفن.

(٦) الجامع لأخلاق الراوى وأداب السامع، للإمام أحمد بن علي بن ثابت البغدادى، المعروف بالخطيب، المتوفى سنة ٤٦٣، ثلث وستين وأربعين مائة.

الاشغال بالعلم. حتى في ذهابه في الطريق ومجيئه^(١)، يشتغل في تكرار [محفوظه]^(٢) أو مطالعة، وأنه بقي على التحصيل على هذا الوجه نحو سينين. ثم اشتعل بالتصنيف والاشغال والإفادة، والمناصحة للMuslimين وولاتهم، مع ما هو عليه من المجاهدة لنفسه والعمل بدقة في الفقه، والاجتهاد على الخروج من خلاف العلماء وإن كان بعيداً، والمراقبة لأعمال القلوب وتصفيتها من الشوائب، يحاسب نفسه على الخطرة [بعد الخطرة]^(٣). وكان محققاً في علمه وفنونه، مدققاً [] [٤]، حافظاً لحديث رسول الله ﷺ، عارفاً بأنواعه كلها [من صحيحه وسقمه]^(٥) وغريب [اللفاظ]^(٦) ومعانيه واستنباط فقهه، حافظاً لمذهب الشافعى وقواعده وأصوله وفروعه، ومذاهب الصحابة والتابعين واختلاف العلماء ووفاقهم وإجماعهم، سالكاً طريق السلف. قد صرف أوقاته كلها في الخير: فبعضها للتأليف، وبعضها للتعليم، وبعضها للصلوة، وبعضها للتلاوة بالتدارك، وبعضها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الكمال الأذفوي في الدر السافر^(٧): ونُوزع مرة في النقل عن الوسيط فقال: «أتنازعني وقد طالعته أربعين مرة؟».

قال ابن العطار:

وذكر لي أبو عبدالله بن أبي الفتح البُعْلي الحنيلي العلامة، قال: بِهِ مَلَه

(١) في E: وإياه.

(٢) ساقطة في الأصلين. وإثباتها من السخاوي: ١١.

(٣) ساقطة في: B.

(٤) [في علمه وكل شؤونه] كما في السخاوي: ٥٦.

(٥) (٦) ساقطة في الأصلين. وأثبتناها من المصدر السابق.

(٧) الدر السافر وتحفة المسافر: في الوفيات، لكمال الدين جعفر بن تغلب الأذفوي (نسبة لأذفو: بلد بصعيد مصر) المؤرخ الشافعى، المتوفى سنة ٧٤٩، تسع وأربعين وسبعين.

كنت ليلة في جامع دمشق والشيخ واقف يصلي إلى سارية في ظلمة وهو يردد قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُون﴾^(١) مراراً بحزن وخشوع، حتى حصل عندي من ذلك ما الله به عليم. وكان إذا ذكر الصالحين، ذكرهم بتعظيم وتوقير واحترام، وذكر مناقبهم.

وأخبرني الشيخ القدوة المسلك ولی الدين أبو الحسن المقيم بجامع بيت لهيا^(٢) قال: «مرضت بالنقرس^(٣) في رجلي فعادني الشيخ محبي الدين فلما جلس عندي جعل يتكلم في الصبر فكلما^(٤) تكلم جعل الألم يذهب قليلاً قليلاً []^(٥) حتى زال، فعرفت أنه من بركته».

وكان لا يدخل الحمام ولا يأكل في اليوم والليلة إلا أكلة واحدة بعد العشاء ولا يشرب إلا شربة واحدة عن السحر ولا يشرب المبرد - أي الملقي فيه الثلج -، ولم يتزوج.

قال ابن العطار:

وأخبرني العلامة رشيد الدين الحنفي^(٦) قال: عذلت الشيخ^(٧) في

(١) سورة الصافات: الآية ٢٤.

(٢) بيت لهيا: (بيت الإله)، وهي قرية مشهورة بغوطة دمشق.

(٣) النقرس: مرض مؤلم يحدث في مفاصل القدم وفي إبهامها أكثر. وهو ما كان يسمى داء الملوك.

(٤) في B: فلما.

(٥) [فلم يزل يتكلم فيه] كما عند السخاوي.

(٦) إسماعيل بن عثمان بن محمد بن عبد الكريم الحنفي المعروف بابن المعلم، رشيد الدين. قدم القاهرة في زمن التتار فأقام بها وكان قد عرض عليه القضاة بدمشق فأبى، كان من أعلام الفقهاء والمفتين، وكان بصيراً في العربية رأساً في المذهب ولديه علوم شتى وفوائد وفرائد، وكان ديناً مقتضاً في لباسه متزهداً. (البداية والنهاية: ٧٢/١٤، الدرر الكامنة: ٣٩٤/١).

(٧) أي: لُمته.

تضيق عيشه [١] وقلت له: أخشى عليك مرضًا يعطلك عن أشياء أفضل مما تقصده، فقال: «إن فلاناً صام وعبد الله حتى احضر عظمه». قال: فعرفت أنه ليس له غرض في المقام في هذه الدار ولا يلتفت^(٢) إلى ما نحن فيه.

قال^(٣): «ورأيت رجلاً من أصحابه قشر خياره ليطعنه إياها، فامتنع من أكلها وقال: أخشى أن ترطب جسمي وتجلب النوم».

قال الأدفوي في البدر السافر: حكى لي قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة^(٤) أنه سأله عن نومه فقال: «إذا غلبني النوم استندت إلى الكتب لحظة وأنتبه». قال: وحكى لي أيضاً أنه كان إذا أتى إليه ليزوره يضع بعض الكتب على بعض ليوسع له موضعًا يجلس فيه. قال: وكان لا يجمع بين إدامين^(٥) ولا يأكل اللحم إلا عندما يتوجه إلى نوى.

قال: وحكى عنه قاضي القضاة جمال الدين الزرعبي^(٦) أنه كان

(١) [في أكله ولباسه وجميع أحواله] كما عند السخاوي.

(٢) عند السخاوي: (ولا الالتفات)، ولعلها الأصوب.

(٣) ابن العطار.

(٤) قاضي القضاة، شيخ الإسلام، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة

الكناني الشافعي، سمع الحديث واشغل بالعلم وحصل علوماً متعددة وأفتى

ودرس. جمع له بين القضاء والخطابة ومشيخة الشيوخ، كل هذا مع الرئاسة

والديانة والصيانة والورع وكف الأذى. توفي سنة ٧٣٣ ثلثاً وثلاثين وسبعيناً.

تصانيفه: إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، وغير التبيان في تفسير القرآن.

(البداية والنهاية: ١٤/١٦٣، شذرات الذهب: ٦/١٠٥، هدية العارفين: ٢/١٤٨).

(٥) الإدام: هو ما يستمر به الخبر.

(٦) قاضي القضاة أبو الربع، سليمان بن عمر بن سالم بن عمر بن عثمان، جمال الدين الزرعبي ناب في الحكم بزرع مدة فعرف بالزرعبي لذلك وإنما هو من أذرعات وأصله من =

يتרדد إليه وهو شاب، قال: فجئت إليه في يوم فوجده يأكل خزيرة مدخنة^(١)، فقال سليمان: كُلْ. فلم يطب له، فقام أخوه وتوجه إلى السوق وأحضر شوياً^(٢) وحلوى، وقال له: كُلْ. فلم يأكل. فقال: يا أخي، أهذا حرام؟ فقال: لا، ولكنه طعام الجباره.

قال ابن العطار:

رَوِيَ وَكَانَ لَا يَأْكُلُ [] [٣] فَاكِهَةُ دِمْشَقَ فَسَأَلَتْهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «دِمْشَقُ كَثِيرَةُ الْأَوْقَافِ وَأَمْلَاِكُ مِنْ هُوَ تَحْتَ الْحَجَرِ [] [٤]، وَالتَّصْرِفُ [فِي ذَلِكَ] [٥] لَا يَجُوزُ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْغَبْطَةِ^(٦)، وَالْمُعَامَلَةُ فِيهَا عَلَى وَجْهِ الْمَسَاقةِ^(٧)، وَفِيهَا خَلَفٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، وَمِنْ جُوْزِهَا شَرْطُ الْغَبْطَةِ، وَالنَّاسُ لَا يَفْعَلُونَهَا^(٨) إِلَّا عَلَى جُزْءٍ مِنْ أَلْفِ جُزْءٍ مِنِ التَّمْرَةِ لِلْمَالِكِ، فَكَيْفَ تَطْبِيبُ نَفْسِي لِأَكْلِ ذَلِكَ؟».

= بلاد المغرب، ولـي القضاـء مرات عـدة، وـكان قـويـاً النـفـس لا يـطلب رـزاـقاً، عـفـيفـاً الـيدـ فيـ أـحـكـامـهـ، تـوفـيـ سـنـةـ ٧٣٤ـ أـرـبعـ وـثـلـاثـينـ وـسـعـمـائـةـ. (طبقات السبكي (ح): ٦/١٠٥، ٦/١٠٧، ١٤/١٦٧). الـبـداـيـةـ وـالـنـهاـيـةـ:

(١) الخـزـيرـ: الـحـسـاءـ مـنـ الدـسـمـ وـالـدـقـيقـ، وـالـخـزـيرـةـ المـدـخـنـةـ: الـتـيـ يـعـلـوـهـاـ الدـخـانـ وـهـيـ فـيـ الـقـدـرـ.

(٢) أي لـحـمـاـ مشـوـيـاـ.

(٣) [من]، ساقطة في الأصلين، والصواب إثباتها كما في السحاوي: ٣٧.

(٤) [شرعاً]، كما في السحاوي:

(٥) في E: لهم، وفي B: (ساقطة)، ولعل الصواب ما أثبتناه، كما في ترجمة النووي للسحاوي: ٣٧.

(٦) الغـبـطـةـ: أـنـ يـتـمـنـيـ الـمـرـءـ مـاـ لـلـمـغـبـطـ مـنـ النـعـمـةـ مـنـ غـيـرـ أـنـ يـتـمـنـيـ زـوـالـهـ عـنـهـ، وـالـمـرـادـ بـهـاـ هـنـاـ: تـحـسـيـنـ الـحـالـ.

(٧) المسـاقـةـ؛ وـمـنـهـاـ: سـاقـىـ فـلـانـ فـلـانـاـ أوـ أـرـضـهـ: أي دـفـعـهـ إـلـيـهـ وـاستـعـمـلـهـ فـيـهـ لـيـعـمـرـهـ وـيـسـقـيـهـاـ وـيـقـومـ بـإـصـلـاحـهـاـ، عـلـىـ أـنـ يـكـونـ لـهـ سـهـمـ مـعـلـومـ مـنـ الـرـبـيعـ وـالـمـحـصـولـ.

(٨) أي لا يـلـتـزـمـونـ بـشـرـطـ الـغـبـطـةـ.

قال: وقال لي^(١) الشيخ العارف المحقق أبو عبدالحليم محمد الأخفيني : كان الشيخ محببي الدين سالكاً منهاج الصحابة، ولا أعلم أحداً في عصرنا سالكاً منهاجهم غيره.

قال: وكتب شيخنا أبو عبدالله محمد بن الظهير الإربلي الحنفي^(٢)، شيخ الأدب في وقته، تصحيح التنبية^(٣) للشيخ [وسائلني مقابلتي معه بنسختي]^(٤)، ليكون له عنه رواية [مني]^(٥) فلما فرغه قال لي: ما وصل ابن الصلاح إلى ما وصل إليه الشيخ من الفقه والحديث واللغة وعدوينة اللفظ والعبارة.

وقال الأسنوي^(٦): كان يلبس ثوباً قطناً وعمامة سختيانية^(٧)، وكان يلبس في لحيته شعرات بيض وعليه سكينة ووار في حال البحث []^(٨) وغيره.

وقال الشيخ تقي الدين السبكي^(٩): ما اجتمع بعد التابعين المجموع الذي اجتمع في النموي^(*).

(١) ساقطة في: B

(٢) الشيخ مجد الدين، محمد بن أحمد بن أبي شاكر، أبو عبدالله بن الظهير الإربلي الحنفي، الأديب. سمع ببغداد ودمشق، تدرّب وتخرج به جماعة منهم ابن العطار. كان من كبار الحنفية وكان ذا رأي منتقى، كان بارعاً في النحو واللغة وهو من أعيان شيوخ الأدب وفحول المتأخرین في الشعر. توفي سنة ٦٧٧ سبع وسبعين وستمائة. (فوات الوفيات: ٣٠١/٣، البداية والنهاية: ٢٨٢/١٣، شذرات الذهب: ٣٥٩/٥).

(٣) العمدة في تصحيح التنبية.

(٤) (٥) سقط في الأصلين، ويقضي السياق إثباته، كما في السحاوي.

(٦) طبقات الشافعية: ٤٧٧/٢ (ترجمة الأسنوي).

(٧) مصنوعة من السختيان، وهو جلد الماعز وقد دُبغ.

(٨) [مع الفقها]، ذكرها الأسنوي.

(*) ذكر الناسخ: (في الحاشية عند هذه العبارة مكتوب: هذه فضيلة عظيمة لمحبى الدين النموي).

ورأيت في مجموع بخط الشيخ شمس الدين العيزري الشافعي^(١)، ذكر كتابه أنّ بوّاب الرّواحية حكى قال: خرج الشيخ في الليل فتبعته، فانفتح له^(٢) الباب بغير مفتاح، فخرج ومشيَّت معه خطوات، فإذا نحن بمكّة، فأحرم الشيخ وطاف وسعي، ثم طاف إلى أثناء الليل ورجع، فمشيَّت خلفه فإذا نحن بالرّواحية.

قال الذهبي: وتولى مشيخة دار الحديث الأشرفية بعد موت أبي شامة^(٣) سنة خمسة وستين، وفي البلد من هو أسنُ منه وأعلى سنداً، فلم يأخذ من معلومها شيئاً إلى أن مات.

قال ابن العطار: وأقرأ بها بحثاً وشرحاً صحيحي البخاري ومسلم، اشتغل بالعلم وقطعة من أبي داود^(٤)، ورسالة القشيري، وصفوة الصفوّة^(٥)، والحجّة

(١) شمس الدين، محمد بن محمد الخضري الزبيدي العيزري الغزي الشافعي، تفقه وأخذ العلم بالقاهرة ثم بدمشق. صنف تصانيف في عدة فنون، وكتب على أسئلة من عدة علوم، وله مناقشة على جمع الجوامع وذكر أنه شرحه، واختصر القوت للأذرعي، وله تعليق على الشرح الكبير للرافعي. توفي سنة ٨٠٨ ثمان وثمانمائة. (شدرات الذهب: ٧٩/٧، الضوء اللامع: ٢٢٠/٩).

(٢) ساقطة في: B.

(٣) الشيخ الإمام العالم، الحافظ المحدث، الفقيه المؤرخ، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، شهاب الدين المقدسي الدمشقي، المعروف بأبي شامة. شيخ دار الحديث الأشرفية، ومدرس الركناية، برع في فنون العلم وعني بالحديث، وهو صاحب التصانيف المفيدة الكثيرة، له اختصار تاريخ دمشق في مجلدات عدة، وله شرح الشاطبية، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين، وغير ذلك. قال بعضهم إنه بلغ رتبة الاجتهاد، كان على قدر من الديانة والعفة والأمانة. امتحن وقتل مظلوماً، سنة ٦٦٥، خمس وستين وستمائة. (تذكرة الحفاظ: ٤/١٤٦٠، طبقات السبكي: ٨/١٦٥، البداية والنهاية: ١٣/٢٥٠).

(٤) في الحديث.

(٥) صفوّة الصفوّة: مختصر حلية الأولياء، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧ سبع وتسعين وخمسماهـ.

على تارك المحجّة^(١) لنصر المقدسي وغير ذلك^(٢).

قال: وذكر لي تلميذه أبو العباس بن فرح^(٣) قال: كان الشيخ شهادته لم يبله ابن فرح به محبي الدين قد صار إليه ثلات مراتب، كل مرتبة منها لو كانت لشخص، لشدت إليه آباط الإبل^(٤) من أقطار الأرض.

المرتبة الأولى: العلم والقيام بوظائفه.

الثانية: الزهد في الدنيا.

الثالثة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال: وأخبرني الشيخ الصدوق أبو القاسم المزري - وكان من الآخيار - أنه رأى في النوم بالمزة^(٥) رايات كثيرة وطيلًا يُضرب، قال: فقلت: ما هذا؟ فقيل لي: الليلة قطب^(٦) يحيى التوسي، فاستيقظت من منامي ولم أكن أعرف الشيخ ولا سمعت به قبل ذلك، فدخلت دمشق في

(١) الحجّة على تارك المحجّة: يتضمن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنّة، للشيخ أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي، الفقيه الراهد المتوفى سنة ٤٩٠ تسعين وأربعين.

(٢) في B: وغيره.

(٣) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرح بن أحمد اللكمي الإشبيلي الشافعي، المحدث الحافظ. كان له حلقة اشتغال بجامع دمشق وكان ذا ورع وعبادة وصدق. له شرح على الأربعين حديثاً التوسي، ومن نظمه الرائق قصيدة التي أولها: غرامي صحيح والرجا منك معرض (القصيدة الغرامية: منظومة في ألقاب الحديث) توفي سنة ٦٩٩ تسع وتسعين وستمائة. (تذكرة الحفاظ: ٤/١٤٨٦، شذرات الذهب: ٤٤٣/٥).

(٤) واحدتها (إبط): وهو باطن المنكب والجناح. وشدت إليه آباط الإبل: سيرت إليه.

(٥) المزة: قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق، بينها وبين دمشق نصف فرسخ (والفرسخ مقاييس من مقاييس الطول يُقدر بثلاثة أميال).

(٦) قطب: جعل قطباً، أي سيداً.

حاجة فذكرت ذلك لشخص، فقال: هو شيخ دار الحديث، وهو الآن
جالس فيها، فدخلتها، فلما وقع بصره عليّ، نهض إلى جهتي وقال:
«اكتُم ما معك ولا تُحدِّث به أحداً»، ثم رجع إلى موضعه.

ورأيت في الدُّرَرِ الْكَامِنَةِ^(١) لشيخ الإسلام حافظ العصر أبي
الفضل بن حَبْرٍ^(٢): قال الشيخ محبي الدين لتلميذه الشيخ شمس الدين
ابن النقِيب^(٣): «يا شيخ شمس الدين، لا بد أن تَلِي الشامِيَّةَ البرانيَّةَ». ذكره آخر له عن الشيخ فرج الصندي
فما مات حتى ولَّها.

ورأيت فيها عن بعضهم، قال: توجَّهْتُ لزيارة الشيخ فرج الصندي
الزاهد، فجرت مسألة النّظر إلى الأمْرَد^(٤)، وأنَّ الرافعي حرَّمه بشرط
الشَّهوة، والنَّوْيَ يقول: يَحرُم مُطلقاً. قال الشيخ فرج: رأيت النبي ﷺ
في المنام، فقال لي: «الْحَقُّ في هذه المسألة مع الشَّيخ النَّوْيِّ». وكان

(١) الدرر الكامنة: ٤/١٩.

(٢) شيخ الإسلام، أمير المؤمنين في الحديث، شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني الشافعي، الشهير بابن حجر، محدث ومؤرخ وأديب. باشر القضاء في مصر مراراً ثم اعتزل. أخذ عنه العلم خلق كثير. نظم الشعر وصنف في التاريخ. ولع بالشعر ونظمها، ثم أقبل على الحديث حتى أصبح حافظ الإسلام في عصره، له تصانيف كثيرة في الحديث والتاريخ والأدب والفقه بلغت مئة وخمسين مؤلفاً. توفي سنة ٨٥٢، اثنين وخمسين وثمانمائة. (شذرات الذهب: ٧/٢٧٠، الضوء اللامع: ٢/٣٦).

(٣) شمس الدين، محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن النقِيب، في طبقات الأسنوي: أخذ شيئاً من الفقه على الشيخ محبي الدين النَّوْي وخدمه. ولَّي قضاة حمص فطرابلس ثم حلب، ثم صُرِفَ عنها وعاد إلى دمشق ثم تولَّ تدريس الشامِيَّةَ البرانيَّةَ. قال السبكي: له الذِّيانة والغُفَّة والورع الذي طرد به الشيطان وأرغم أنفه. كان من أساطين المذهب. توفي سنة ٧٤٥ خمس وأربعين وسبعمائة. (طبقات الأسنوي: ٢/٥١٢، شذرات الذهب: ٤/١٩).

(٤) الأمْرَد: من بلغ ولم يَدُ شاربه ولحيته.

الشيخ مُحيي الدين إذا جاءه أمرٌ يقرأ عليه، امتنع، وبعث به إلى الشيخ أمين الدين الحلبي، لعلمه بدينه وصيانته.

وقال الشيخ تاج الدين السبكي في الترشيح^(١): رافق الوالد مرّة وهو راكب على بغلته شيخاً عامياً ماشياً، فتحادثاً، فوقع في كلام ذلك الشيخ أنه رأى النّووي، ففي الحال، نزل عن بغلته، وقبل يد ذلك الشيخ العامي وسأله الدّعاء، وقال له: إركب خلفي، فلا أركب وعین رأت وجه النّووي تمشي بين يدي. وكان الوالد سكن دار الحديث الأشرفية، وكان يخرج في الليل يتهدج ويمرغ خديه على الأرض فوق البساط الذي يقال إنه من زمن الواقف^(٢)، ويقال إن النّووي كان يدرس عليه. وينشد^(٣):

[من الوافر]

وفي دار الحديث لطيف معنى
على بسط لها أصبوا وآوي^(٤)
عسى أنني أمس بحر وجهي
مكاناً منه قدم النّواوي^(٥)

(١) ترشيح التوسيع وترجح التصحح: للإمام تاج الدين عبدالوهاب بن تقى الدين السبكي الشافعى المتوفى سنة ٧٧١، واحد وسبعين وسبعمائة. والتوسيع كتاب له في الفقه.

(٢) الملك الأشرف، مظفر الدين، أبو الفتح موسى بن العادل. تملّك دمشق تسع سنين، فأحسن وعدل وخفف الجور، ولما فتحها اشتري دار قايماز النجمي وجعلها دار حديث، وبنى الكثير من المساجد وزاد وقف دار الحديث النورية، كان جواراً عادلاً سخياً متواضعاً للصالحين، وكان حلو الشمائل، محباً إلى رعيته موصوفاً بالشجاعة، لم تكسر له راية قط. توفي سنة ٦٧٩، تسع وسبعين وستمائة. (البداية والنهاية: ٢٩٩/١٣، شذرات الذهب: ١٧٥/٥).

(٣) طبقات السبكي: ٣٩٦/٨، والسعداوى: ٦.

(٤) أصبوا؛ صبا إليه: حن وتشوق.

(٥) حر الوجه: الجزء الظاهر منه.

ذكر بعض من أخذ عنه

منهم :

الشيخ علاء الدين بن العطار، والشيخ شمس الدين بن النقيب، والعلامة شمس الدين بن جعوان^(١)، والشيخ شمس الدين القمّاح^(٢)، والحافظ جمال الدين المِزّي^(٣)، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، والعلامة رشيد الدين الحنفي، والمحدث أبو العباس بن فرح الإشبيلي، وخلائق غيرهم.

(١) الإمام الحافظ المتفنن، النحوئي، شمس الدين محمد بن محمد بن عباس بن أبي بكر بن جعوان، الأنباري الدمشقي، الشافعى. أحد من برع في العربية على ابن مالك، ثم عُنى بالحديث. كان مليح الشكل، حسن البزة، كيس العشرة، ثبتاً فيما يقول. توفي سنة ٦٨٢ اثنين وثمانين وستمائة. (تذكرة الحفاظ: ٤ / ١٤٩١).

(٢) محمد بن أحمد بن حيدرة بن علي بن عُقيل، المصري، شمس الدين، أبو عبدالله بن القمّاح الفقيه الشافعى. تفقّه ومهر وأفتى ودرس وحدث. كان محباً في العلم وأهله خصوصاً أصحاب الحديث. توفي سنة ٧٤١ واحد وأربعين وسبعين وسبعيناً. (ذيل تذكرة الحفاظ: ١١١، الدرر الكامنة: ٣ / ٣٩١).

(٣) الحافظ الكبير جمال الدين، أبو الحجاج بن زكي الدين بن عبد الرحمن بن يوسف، الإمام العلامة، الحافظ الكبير، المِزّي، الشافعى، الشهير بابن الزكي. قال ابن قاضي شهبة: شيخ المحدثين، عمدة الحفاظ، أعمجوة الزمان، الدمشقي، المِزّي. نشأ بالميزة،قرأ شيئاً من الفقه على المذهب الشافعى وحصل طرفاً من العربية وبرع في التصريف ولغة ثم شرع في طلب الحديث بنفسه وله عشرون سنة. قال الذهبي: إليه المتلهى في معرفة الرجال وطبقاتهم، كان ينطوي على سلامه باطن ودين وتواضع =

ذكر تصانيفه

قال الشيخ جمال الدين الأسنوي في أوائل المهمات: اعلم أن طرفة النور في الصنف ^{طريق النور في الصنف} الشيخ محيي الدين رحمه الله، لما تأهل للنظر والتحصيل، رأى المسارعة إلى الخيرات، أن جعل ما يحصله ويقف عليه تصنيفاً يتتفع به الناظر فيه، فجعل تصنيفه تحصيلاً وتحصيله تصنيفاً، وهو غرض صحيح وقصد جميل، ولولا ذلك لم يتيسر له من التصانيف ما تيسر له. وأما الرافعي فإنه سلك الطريقة العالية فلم يتصرّ للتأليف إلا بعد كمال انتهاءه، وكذا ابن الرفعة. رحمة الله عليهم أجمعين ونفعنا بهم.

وقال الأذرعي في أول التوسط والفتح: بلغني أن الشيخ محيي الدين كان يكتب إلى أن يعيى، فيوضع القلم ليستريح، وينشد: [من الطويل]

لئن كان هذا الدمع يجري صبابة على غير سعدى فهو دمع مضيع^(١)
وذكر ابن العطار في تأليف له في الشعر، أن الشيخ لم ينظم شعراً قطّ.

= وفراغ عن الرئاسة وحسن سمت وقلة كلام وحسن احتمال. توفي سنة ٧٤٤ أربع وأربعين وسبعمائة. من تصانيفه: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أطراف الكتب الستة، أمالى في الحديث. (تذكرة الحفاظ: ٤/١٤٩٨، شذرات الذهب: ٦/١٣٦، هدية العارفين: ٢/٥٥٦).

(١) عجز البيت في مرآة الجنان ٤/١٨٦: على غير ليلي فهو لا شك ضائع.

فِمِنْ تَصَانِيفِهِ :

- **الرُّوْضَة**^(١)؛ مختصر الشرح الكبير للرافعي، وهو بخطه، في أربع مجلدات ضخمات مائة كراس، وتقع غالباً في ست مجلدات وثمانية. ورأيت بخطه فيها أنه ابتدأ في تأليفها يوم الخميس، الخامس والعشرين من رمضان سنة ست وستين وستمائة، وختمتها يوم الأحد الخامس عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وستين وهي عمدة المذهب الآن. وفيها يقول السنوي في المهمات: وكانت أنفس ما تأثر من تصانيفه لبركات أنفاسه، وتأتي من ثمرات غراسه، غرس فيها أحكام الشرع ولقحها، وضم إليها فروعاً كانت منتشرة فهدبها ونقحها، فلذلك علا ينبعها وبسقت فروعها وطابت أصولها وذلت قطوفها. إلى أن قال: وتلك منقبة قد أطاب الله ذكرها وثناءها، ومؤهبة منقبة قد رفع سُمْكَها وبنها، ومن أسر سريرة حسنة ألبسَهُ اللَّهُ رِدَاهَا.

وفي الجواهر: فإن الرُّوْضَة لما جمعت أشتات المذهب وقطعت أسباب علق المطلب، لا شتمالها على أحكام الشرح الكبير، واحتضانها بزيادات أحجم عنها الكثير، وردت من قبول الكافة مورداً يصدر^(٢) فيه البعض، وعقدت لوقوفهم عند حكمها موثقاً فلن تُرَحْ الأرض، فلذلك تمسكوا بفروعها وأغصانها، وتعلّقوا بأصولها وأقالها، حتى صارت منزل قاصدهم ومنهل واردهم. وقد استدرك فيها على الإمام الرافعي في التصحح مواضع جمة، وزاد عليها مسائل وقيوداً وشروطًا. وقد أفرد بعضهم زياداتها في مجلدين لطيفين.

(١) روضة الطالبين وعمدة المفتين، في فقه المذهب الشافعي، مختصر (فتح العزيز في شرح الوجيز) للإمام الرافعي.

(٢) في E: لا مصدر.

وقد ذكر الأذرعي في التوسيط أنه هم قبل موته بغسلها^(١)، فقيل له: سارت بها الركبان. فقال: «في نفسى منها أشياء».

وقد أكثر الناس من الكتابة عليها والكلام على مواضع وتصحيحات فيها، ظاهرها التناقض، ومواضع فيها مخالفة لما في الشرح، كالأسنوي والأذرعي والبلقيني والزركشي وغيرهم. وقد ذكر أن سبب ما وقع فيها مخالفًا للشرح أنه اختصرها من نسخة منه سقيمة مع أنه بحمد الله أجيبي عن كثير مما زيفوه، وجمع بين غالب ما زعموا تناقضه، وقد شرعت في تلخيص أحكامها من غير ذكر خلاف وضمنت إليها زيادات شرح المهدّب وبقية تصانيفه وتصانيف من بعده، كابن الرّفعة والسبكي والأسنوي وغيرهم، ووصلت فيه الآن إلى أن أعاد الله على إتمامه^(٢).

و منها:

^(٣)- شرح صحيح مسلم سماه بالمنهج، قريب من حجم الروضة. الكلام على شرح صحيح سلم

- وشرح المهدّب سمّاه بالمجموع^(٤)، وقد وصل فيه - قال ابن الكلام على كتاب المجمع العطار - إلى باب المجرأة^(٥). وقال الأسنوي إلى أثناء الربا، وهو قدر الروضة مرة ونصف أو هو أكثر. وقد ذكر في خطبته أنه كتب قبل ذلك شرحاً مبسوطاً جداً، وصل فيه إلى أثناء الحيض، في ثلاث مجلدات ضخمات، ثم رأى أن ذلك يكون سبب قلة الانتفاع به لـكبيره فعدل عنه، ولم يتفق له أنه سمي شيئاً من تصانيفه في الخطبة إلا هذا الشرح.

(١) أى: محوها.

٤) العبارة ناقصة، إذ لم يُعلم إلى أين وصل.

(٣) «المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج». قال السخاوي: هو عظيم البركة.

(٤) المجموع شرح المهدى للإمام الشيرازي، من أعظم الكتب التي ألفت في الفقه.

قال الذهبي: إنه في غاية الحسن والجودة. وقال قاضي صفدي: إنه لا نظير له.

(٥) كذا في الأصلين، ولم أقف على معنى لها.

قال الأسنوي : وهذا الشرح من أجل كتبه وأنفسها ، وكلامه فيه يدل على أنه أطّلع على أنه يموت قبل إتمامه ، فإنه يجمع النظائر في موضع ويقول [معلناً ذلك]^(١) : فلعلنا لا نصل إلى محله .

وقال ابن العطار :

وكتب لي ورقة فيها أسماء الكتب التي كان يجمعه^(٢) منها وقال :

«إذا انتقلت إلى الله فأتيمه من هذه الكتب» .

وقد شرع في تكميله جماعة ولم ينهوه . فكتب الشيخ تقي الدين السبكي من الموضع الذي انتهى إليه [أثناء التفليس]^(٣) .

وفي خطبة تكملته ، يقول واصفاً هذا الشرح : «وبعد ، فقد رغب إلى بعض الأصحاب في أن أكمل شرح المهدب ، للشيخ الإمام العالم العلامة ، عَلَمُ الزَّهَادِ وَقُدوةِ الْعُبَادِ ، واحد عصره وفريد دهره ، محبي علوم الأولين ومهدب سنن الصالحين ، أبي زكريا التنوسي . وطالت رغبته إلى ، وكثُر إلحاحه علىي وأنا في ذلك أقدم رجلاً وأؤخر أخرى ، وأستهول الخطب وأراه شيئاً إمراً ، وهو في ذلك لا يقبل عذرًا . وأقول وقد يكون تعرّضي لذلك مع قصوري عن مقام هذا الشارح إساءة إليه وجناية مني عليه ، فإنني أنهض بما نهض به وقد أسعف بالتأييد وساعدته المقادير فقربت منه كلَّ بعيد . ولا شك أن ذلك يحتاج بعد الأهلية إلى ثلاثة

أشياء :

(١) ساقطة في : B.

(٢) يقصد : المجموع .

(٣) لعل المعنى يتطلب ما يفيد غاية الانتهاء نحو: إلى .

من خطبة النبي السبكي في
نكلمة المجمع

أحدها: فراغ البال، واتساع الزمان. وقد كان رحمة الله قد أُوتِيَ من ذلك الحظ الأوفر، بحيث لم يكن له شاغل عن ذلك من نفسٍ ولا أهل.

الثاني: جمع الكتب، التي استعان بها على النظر والاطلاع على كلام العلماء، وكان رحمة الله قد حصل له من ذلك حظ وافر لسهولة ذلك في بلده في ذلك الوقت.

الثالث: حُسن النية وكثرة الورع والزهد والأعمال الصالحة التي أشرقت أنوارها. وكان قد اكتال من ذلك بالمكياج الأوفي.

فمن اجتمعت فيه هذه الحالات الثلاث، أتى يضاهيه أو يدانيه من ليس فيه واحدة منها. فنسأله أن يُحسن نياتنا، وأن يمدّنا بمعونته وعونه، وقد استخرت الله تعالى وفوضت الأمر إليه، واعتمدت في كل الأمور عليه وقلت في نفسي لعل ببركة صاحبه ونيته يعييني الله تعالى عليه إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فإن من الله تعالى بإكماله، فلا شك من فضل الله ببركة صاحبه ونيته إذ كان مقصوده النفع للناس ممن كان». (اهـ).

- ومنها: *المنهج مختصر المحرر*^(۱)، مجلد لطيف، ودقائقه نحو ثلاثة الف مجلدات. ورأيت بخطه أنه فرغه تاسع عشر شهر رمضان سنة تسع وستين وهو الآن عمدة الطالبين والمدرسين والمفتين.

(۱) *منهج الطالبين*، في *مختصر المحرر* للرافعي.

قال ابن العطار:

قال العلامة جمال الدين بن مالك: والله، لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لحفظته. وأثنى على حُسن اختصاره وعدوته ألفاظه. قال: ما قبل في الملح من السر ووقف عليه في حياته العلامة رشيد الدين الفارقي^(١) شيخ الأدب فامتدحه بأبيات وقف عليها الشيخ وهي^(٢):

[من الرمل]

اعتنى بالفضل يحيى فاغتنى
عن بسيطِ بوجيزِ نافع
وتخلّى بتقاوٍ فضلُه
فتجلّى بلطيفِ جامع
ناصباً أعلامَ عِلمٍ جازماً
بمقالٍ رافعاً للرافعي
فكان ابن الصلاح حاضرٌ
وكأنَّ ما غاب عننا الشافعي

وقال فيه الشيخ جمال الدين الأسنوي^(٣):

[من الكامل]

يا ناهجاً منهاج غير ناسك
دقّت دقائق فكره وحقائقه
يا حبذا منهاجه ودقائقه
بادر لمحيي الدين فيما رُمته

(١) أبو حفص، عمر بن إسماعيل بن مسعود الربعي الفارقي، رشيد الدين. كانت له اليد الطولى في التفسير والمعانى والبيان والبديع والنحو واللغة بحيث انتهت إليه رئاسة الأدب في زمانه. كان له باع في الفقه والأصول والطب، وكان حسن الخط حلوا المذكرة ظريف النادرة، كيساً فطناً. أفتى وناظر ودرس في الناصرية ثم الظاهرية بدمشق. ألف مقدمتين في النحو صغرى وكبيرى. كان له شعر جيد، ومنه من قصيدة:

مر النسيم على الروض البسيم فما شككت أن سلمى حلّت السلمما
ولاح برق على أعلى الشيبة لي فخلت برق الثناء لاح وابتسمما
مات رحمه الله مخنوقاً بالظاهرية سنة ٦٨٩ تسع وثمانين وستمائة. (طبقات الأسنوي:
٢٨٦/٢، شذرات الذهب: ٤٠٩/٥).

(٢) تاريخ ابن الفرات: ١١٠/٧، ترجمة النووي للسحاوى: ١٦.

(٣) ترجمة النووي للسحاوى: ١٦.

وينسب للشيخ تقي الدين السبكي :

[من الكامل]

ما صنف العلماء كالمنهاج
في شرعة سلفت ولا منهاج
فاجهذ على تحصيله متيقناً

ولبعضهم :

[من الكامل]

الشيخ محيي الدين هو القطب الذي طلعت شموس العلم من أبراجه
لا يرتقي أحد إلى شرف العلي إلا فتى يمشي على منهاجه

وقلت أنا :

[من الكامل]

للناس سبل في الهدایة والھوى
ما بين إصباح وليل داج
إذا أردت سلوك سبل المصطفى حقاً فلا تعديل عن المنهاج

وقلت : ومن جلالة هذا الكتاب أن الشيخ تاج الدين بن الفركاح^(١)
كتب عليه تصحیحاً، وهو في مرتبة شیوخ الشیخ محيی الدین. فإنه لما
 جاء إلى دمشق، أحضر إليه ليقرأ عليه، فبعث به إلى الرواھیة. وأيضاً
 فإنه كان بينهما أخیراً مقاطعة، كما ذكر ذلك الصلاح الصفدي في
تذکرته^(٢)، وأنه لما توفي الشیخ محيی الدین لم يحضر الشیخ تاج الدين

(١) عبد الرحمن بن إبراهيم بن ضياء الفزاری، تاج الدين، المعروف بالفرکاح، الإمام العلامة العالم، شیخ الشافعیة في زمانه. اجتمع فيه فنون كثيرة من العلوم النافعة والأخلاق اللطيفة وفصاحة المنطق وحسن التصنيف وعلوّ الھمة. كان لطيف اللحیة قصيراً حلو الصورة مفرکح الساقین ولذلك قيل له الفركاح. وكان مدرس البداریة ولم يكن بيده سواها. قال الذہبی: جمع تاریخاً مفیداً وصنف التصانیف توفی سنة ٦٩٠ تسعین وستمائة. (طبقات الأنسوی: ٢/١٦٣، البداریة والنهاية: ١٤/٣٢٥، شذرات الذهب: ٥/٤١٣).

(٢) التذکرة: لصلاح الدين خلیل بن أبيك الصفدي، الأدیب المشهور، المتوفی سنة ٧٩٤ =

للصلة عليه. ومن العجب أنّ الشيخ علاء الدين الباقي^(١) شيخ السبكي، اختصر المحرر وسمّاه: التحرير، وموالده سنة مولد الشيخ مُحيي الدين، وانظر ما بين المختصرین شهرةً واعتماداً.

وقد كنتُ في أول اشتغالِي ، رأيتَ الشيخ في النوم وكأنني حضرت درسه فقلت له في شأن المنهاج والاعتراضات التي أوردت عليه، فأخذ يصلاح العبارة إلى أن خرج الكتاب عن هيئته، فقلت له: يا سيدِي، اجعل هذا كتاباً على حدِّه غير المنهاج، []^(٢) لأنَّه شرح وحفظ على تلك الهيئة. ثم إنَّه ركب حماراً عالياً ومشيَّت خلفَه مسافةً يسيرةً، فأعطاني عمامتَه وفارقتَه، فانتبهتُ. ورأيته مرةً أخرى فأناشدني :

مَنْ شَامَخَ الْعَالَمَ فِي كَلَامِهِ لَيَذَهَّبَنَّ رَوْنَقُ اُنْتِظَامِهِ
فاستيقظتُ وأنا أحفظهُ.

- ومنها: تهذيب الأسماء واللغات^(٢)، مجلدان ضخمان ويقع غالباً

كتابه بهب الأسماء واللغات

= أربع وتسعين وسبعمائة. وهو نحو ثلاثين مجلداً، جمع فيه نوادر الأشعار ولطائف الأدبيات نظماً ونشرأً.

(١) الشيخ الإمام، علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب الباقي، إمام الأصوليين في زمانه، وفارس ميدانه. كان تقىً ورعاً زاهداً مدققاً في خفايا الأمور. وكان فقيهاً متقدناً. ومع اتساع باعه في المباحث لم يوجد له كتاب أطال فيه النفس غير كتاب اليهود والنصارى، بل له مختصرات منها كتاب التحرير، مختصر المحرر، في الفقه، وغيره. كانت بيته وبين الشيخ محيي الدين النووي صدقة وصحبة أكيدة، وموافقة في الاشتغال. توفي سنة ٧١٤، أربع عشرة وسبعمائة (طبقات السبكي (ح): ٦/٢٢٧).

(٢) لعل هنا سقطاً نحو: فألى.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات، الواقعة في المختصر للمزني، والمسيط، والوجيز، والتنبيه، والمهدب، والروضة. يمتاز الكتاب بالضبط والتحقيق والتحري عن الصواب، لم يتمه، ولكنه ترك قطعة كبيرة منه. قال قاضي صفدي: ما أكثر فوائده، وما أعمّ نفعه، لا يستغني طالب علم عنه.

في أربعة . قال الأسنوي : وقد مات عنه مسودة ، وبيضه الحافظ جمال الدين المزّي ، وفي هذا شيء : فقد وقفت على المجلد الأول بخطه بيضاءً بالخزانة محمودية ، لكن فيه بياضات يسيرة .

- رياض الصالحين^(١) ، مجلد .

- والأذكار^(٢) مجلد .

- ونكت التنبيه مجلد ، وتسمى التعليقة . قال الأسنوي : وهي من نكت التي أوائل ما صنف . ولا ينبغي الاعتماد على ما فيها من التصحيحات المخالفة لكتبه المشهورة ، ولعله جمعها من كلام شيونخه . ومما استفادته منها في قص الأظفار أنه يُسنَ البدء بمسبحة اليدين ثم بالوسطى ثم بالبنصر ثم بالخنصر ، ثم خنصر اليسرى ولاع ، ثم يختتم بإيمان اليمنى . وفي الرجل يبدأ بخنصر اليمنى ويختتم بخنصر اليسرى . وذكر لذلك حديثاً معنى لطيفاً ، ذكرته في دقائق مختصر الروضة .

- والإيضاح في مناسك الحج ، مجلد لطيف ، والإيجاز فيها .
والمناسك الثالث والرابع والخامس .

(١) «رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين»: هو مختصر جمعه من الأحاديث الصحيحة ، مشتملاً على ما يكون طريقاً لصاحبها إلى الآخرة ، جامعاً للترغيب والتزهيب والزهد ورياضات النفوس ، والتزم فيه أن لا يذكر إلا حديثاً صحيحاً ، وصدر الأبواب من القرآن ، ووسع ما يحتاج إلى ضبط أو شرح ، وجعله على مائتي باب وخمس وستين باباً .

(٢) «الأذكار المختارة من كلام سيد الأبرار»: كتاب جليل نفيس لا يُستغني عنه ، ذكر فيه المؤلف عمل اليوم والليلة ، وأذكاراً لمناسبات شتى ، ويضم جملة من النفائس من علم الحديث ، ودقائق الفقه ، ومهامات القواعد ، ورياضات النفوس ، والأداب التي تتأكد معرفتها على السالكين .

- والتبيان في آداب حملة القرآن^(١)، مجلد .
- ومختصر وشرح التنبيه مطول سماه: تحفة الطالب النبويه^(٢)،
وصل فيه إلى أثناء الصلاة.

الكلام على شرح الوسيط - وشرح الوسيط المسمى بالتفقيع . قال الأسنوي : وصل فيه إلى شروط الصلاة . قال : وهو كتاب جليل من أواخر ما صنف ، جعله مشتملاً على أنواع متعلقة به ضرورية كافية لمن يريد كثرة المسائل المأخوذة ، والمرور على الفقه في زمن قليل ، كتصحيح مسائله ، وتوضيح أدلة وذكر أغاليطه ، وحل إشكالاته ، وتحريج أحاديثه ، وأحوال الفقهاء المذكورين فيه ، إلى غير ذلك من الأنواع التي أكثر منها . ولم يتعرض لفروع غير فروع الوسيط . قال : وهي طريقة يتيسّر بها معاً إقراء الوسيط في كل عام مرة .

- (١) وهو مختصر ، يقول السحاوي : نفيس لا يستغني عنه ، خصوصاً للقاريء والمقرئ .
وهو مرتب على عشرة أبواب :
الأول : في فضيلة تلاوته وحمله .
الثاني : في ترجيح القراءة والقاريء .
الثالث : في إكرام أهل القرآن .
الرابع : في آداب المعلم والمتعلم .
الخامس : في آداب حامل القرآن .
السادس : في آداب القراءة .
السابع : في آداب الناس معه .
الثامن : في الآيات والسور المستحبة في بعض الأوقات .
التاسع : في كتابة القرآن وإكرام المصحف .
العاشر : في ضبط ألفاظ الكتاب .
وفي ضمن الأبواب جمل من الفوائد . ثم اختصره وسماه : مختار البيان .
(٢) وهو من أوائل ما صنف .

- ونکت على الوسيط في نحو مجلدين.

- والتحقيق^(۱): وصل فيه إلى صلاة المسافر. ذكر فيه غالباً ما في شرح المهدب من الأحكام، والخلاف على سبيل الاختصار.

- ومهماً من الأحكام. قال الأسنوي: وهو قريب من التحقيق في كثرة الأحكام، إلا أنه لم يذكر فيه خلافاً. وقد وصل فيه إلى أثناء طهارة الثوب والبدن.

- وشرح البخاري^(۲): كتب منه مجلدة.

- والعمدة في تصحیح التنبيه.

- والتحریر في لغات التنبيه^(۳).

- ونکت المهدب.

- ومحضر التذنيب للرافعي سماه بالمنتخب. قال الأسنوي: وقد أسقط منه في آخر الفصل السادس أوراقاً فلم يختصرها. ومن هنا تعلم أن قول من قال إن الشيخ محيي الدين لم يعلم بالشرح الصغير وهم فإن الرافعي ذكره في خطبة التذنيب، وقد وقف عليه النووي. نعم، قول من قال: لم يقف عليه، ممکن.

(۱) في الفقه.

(۲) قال في مقدمته: «وأما صحيح البخاري، فها أنا أشرع في جمع كتاب في شرحه، متوسط بين المختصرات والمبوسطات، لا من المختصرات المخلات ولا من المبوسطات المملatas، ولو لا ضعف الهمة وقلة الراغبين في المبوسط، لبلغت به ما يزيد على مائة من المجلدات، مع اجتناب التكرار والزيادات العاطلات». ولكنه رحمة الله مات قبل أن يتمّه.

(۳) «تحریر التنبيه لكل طالب نبيه»: من أجود كتب اللغة التي تشرح ما في كتاب التنبيه من غريب الألفاظ والمصطلحات الفقهية.

- ودفائق الروضة: كتب منها إلى أثناء الأذان.
- وطبقات الشافعية^(١)، مجلد. قال الأسنوي: ومات عنها مسودة فيبضها المزي.
- ومحضر الترمذى، مجلد وقفت عليه بخطه مسودة، وبعضاً منه أوراقاً.
- وقسمة القناعة ومحضره. قال الأسنوى: وهذا الكتاب من أواخر ما صنف وهو مشتمل على نفائس.
- وجاء في الاستسقاء وجاء في القيام لأهل الفضل. قال الأسنوى: وهما من أواخر تصانيفه وأنفعها.
- ومحضر تأليف الدارمى في المتحيرة، ومحضر تصنيف أبي شامة في البسمة، ومناقب الشافعى^(٢). وهذه الكتب الثلاثة أحال عليها هو في شرح المهدب.
- والتقريب في علم الحديث، والإرشاد فيه.
- والخلاصة في الحديث.
- ومحضر مبهمات الخطيب.
- والإملاء على حديث إنما الأعمال بالنيات، لم يتمّه.
- وشرح سنن أبي داود^(٣) كتب منه يسيراً.
- وبيان العارفين^(٤)، لم يتم.

(١) أو «طبقات الفقهاء»: اختصر فيها كتاب أبي عمرو بن الصلاح، وزاد عليه أسماء نبه عليها في ذيل كتابه.

(٢) اختصر فيها كتاب البيهقي الحافل في ذلك، بحذف الأسانيد.

(٣) سماه: الإيجاز. وصل فيه إلى أثناء الوضوء.

(٤) في الزهد والتصوّف: قال السخاوي فيه: بديع أيضاً.

- ورؤوس المسائل.

- والأصول والضوابط^(١) كتب منه أوراقاً قلائل.

- ومحضر التبيه، كتب منه ورقة واحدة.

- والمسائل المتشورة، وهي المعروفة بالفتاوي، وصنفها غير مرتبة، فرتّبها تلميذه ابن العطار وزاد عليها أشياء سمعها منه.

- والأربعين، وشرح ألفاظها.

هذا ما يحضرني من مصنفاته بعد الفحص.

وقد قال في شرح المذهب في رفع اليدين في الركوع: «أرجو أن أجمع فيه كتاباً مستقلاً» فلا أدرى أفعل أو لا.

قال الأسنوي: وينسب إليه تصنيفان ليسا له: النهاية في اختصار الغاية، والثاني: أغاليط على الوسيط، مشتملة على خمسين موضعًا، بعضها فقهية وبعضها حديثية. ومنمن نسب إليه هذا: ابن الرفعة في المطلب، فاحذر فإنه لبعض الحمويين، ولهذا لم يذكره ابن العطار حين عدّ تصانيفه واستوعبها. (اهـ). وقوله إن ابن العطار استوعب تصانيفه ممنوع، بل لم يستوعب ولا قارب.

قال ابن العطار:

وله شرح ألفاظ ومسودات كثيرة. ولقد أمرني مرة بجمع نحو ألف كراس بخطه، وأمرني أن أقف على غسلها في الورقة، وحلّفني إن خالفت أمره في ذلك. فما أمكنني إلا طاعته، وإلى الآن في قلبي منها حسرات.

(١) أوراق لطيفة تشتمل على بعض القواعد الفقهية، وضوابط لذكر العقود الالزمة والجائزة، وما هو تقرير أو تحديد، أو نحو ذلك.



ذِكْرٌ شَيْءٌ مِّنْ مَكَاتِبَهُ

قال ابن العطار:

كتب ورقة إلى الملك الظاهر، تتضمن العدل في الرعية وإزالة المُكْوس^(١). وكتب معه فيها جماعة ووضعها في ورقة كتبها إلى الأمير بدر الدين بيلبك الخزندار^(٢)، بإيصال ورقة العلماء إلى السلطان، وصُورُتها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ عَبْدِ اللَّهِ يَحْسِنُ التَّوْوِيْ، سَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ وَبَرَكَاتِهِ عَلَى الْمَوْلَى الْمُحْسِنِ، مَلِكِ الْأَمْرَاءِ بَدْرِ الدِّينِ، أَدَمَ اللَّهُ الْكَرِيمُ لِهِ الْخَيْرَاتُ، وَتَوْلَاهُ بِالْحَسَنَاتِ، وَبِلَّغَهُ مِنْ أَقْصَى الْآخِرَةِ وَالْأُولَى كُلَّ آمَالِهِ، وَبَارَكَ لَهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، آمِينٌ».

وينهي أهل العلوم الشريفة، أن أهل الشام في هذه السنة في ضيق عيش وضعف حال، بسبب قلة الأمطار، وغلاء الأسعار، وقلة الغلات والنبات، وهلاك الماشي وغير ذلك. وأنتم تعلمون أنه تجب الشفقة

(١) واحدها (المَكْس): أي الضريبة.

(٢) الأمير الكبير بدر الدين بيلبك بن عبدالله، الخزندار، نائب الديار المصرية للملك الظاهر. كان جواداً نبيلاً علياً لهمة وافر العقل، محباً إلى الناس، ينطوي على مروءة وعفة للعلماء والصلحاء والزهاد، له إلمام وعمر في العلوم والتاريخ، وكان قد وقف درساً بالجامع الأزهر على الشافعية، ويقال إنه مات مسموماً سنة ٦٧٦، ست وسبعين وستمائة. (البداية والنهاية: ١٣/٢٧٧، شذرات الذهب: ٥/٣٥١).

على الراعي والرعيَّة، ونصيحته في مصلحته ومصلحتهم، فإنَّ الدين النصيحة، وقد كتب خدمة الشرع، الناصحون للسلطان، المحبوبون له، كتاباً يذكره النظر في أحوال الرعية والرُّفق بهم. وليس فيه ضررٌ بل هو نصيحة مُحْضَة، وشفقة، وذكرى لأولي الألباب. والمسؤول من الأمير أيدَه الله تعالى تقديمه إلى السلطان، أَدَمَ الله له الخيرات، ويتكلّم عنده من الإشارة بالرُّفق بالرعيَّة بما يجده مَدْخراً له عند الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَحْدُدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ يَبْيَنَهَا وَبَيْنَهُمْ أَمْدَأْ بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمْ أَنَّ اللَّهَ نَفْسُهُ﴾^(١). وهذا الكتاب أرسله^(٢) العلماء أمانةً ونصيحةً للسلطان، أعزَّ الله أنصاره [والMuslimين كلهم في الدنيا والآخرة]^(٣)، فيجب عليكم إيصاله للسلطان، أعزَّ الله أنصاره، وأنتم مسؤولون عن هذه الأمانة، ولا عذر لكم في التأخير عنها. ولا حُجَّة لكم في التقصير فيها عند الله تعالى، وتسألون عنها: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنٌ﴾^(٤)، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأَمْهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَاءَ يُعَنِّيهِ﴾^(٥)، وأنتم بحمد الله تحبون الخير وتحرصون عليه، وتسارعون إليه، وهذا من أهم الخيرات، وأفضل الطاعات، وقد أهَلتُم له، وساقه الله إليكم، وهو فضلُ من الله، ونحن خائفون أن يزداد الأمر شدةً إن لم يحصل النظر في الرُّفق بهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَتَقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَرِيقٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٦)، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلِمُ﴾^(٧).

(٥) سورة عبس: الآيات ٢٤ - ٢٧.

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٠.

(٦) سورة الأعراف: الآية ٢٠١.

(٢) في B: يرسله.

(٧) سورة البقرة: الآية ١١٥.

(٣) ساقط في: E.

(٤) سورة الشوراء: الآية ٨٨.

والجماعة الكاتبون متظرون ثمرة هذا، فإذا فعلتموه، فأجركم عند الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ أَتَقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(١) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

فلما وصلت الورقتان إليه^(٢)، أوقف عليهما السلطان، فرد جوابهما ردًا عنيفًا مؤلمًا، فتنكّدت خواطر الجماعة الكاتبين، فكتب رضي الله تعالى رده على جواب الظاهر وفيه عنه جواباً لذلك الجواب: كف تكون عزة العالم

«بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد. من عبدالله يحيى التوسي، يُنهي أن خدمة الشرع كانوا كتبوا ما بلغ السلطان - أعز الله أنصاره - فجاء الجواب بالإنكار والتوبیخ والتهذید، وفهمنا منه أن الجهاد ذكر في الجواب على خلاف حكم الشرع، وقد أوجب الله إيضاح الأحكام عند الحكام عند الحاجة إليها، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُمَّ يَشَاءُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لِتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُونُونَهُ﴾^(٣)، فوجب علينا حينئذ بيانه، وحرّم علينا السكوت، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْعُصَفَكَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَنِ وَلَا عَلَى الْأَذْنِينَ لَا يَحِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ كَمِنْ سَيِّلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٤).

وذكر في الجواب أن الجهاد ليس مختصاً بالأجناد، وهذا أمر لم ندعه، ولكنّ الجهاد فرض كفاية، فإذا قرر السلطان له أجناداً

(١) سورة النحل: الآية ١٢٨.

(٢) أي إلى الأمير الخزندار.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٧.

(٤) سورة التوبة: الآية ٩١.

مُخْصُوصين، ولهم أخبار^(١) معلومة من بيت المال، كما هو الواقع، تفرغ باقي الرعية لمصالحهم، ومصالح السلطان والأجناد وغيرهم، من الزراعة والصناعات، وغيرها مما يحتاج الناس كلهم إليه^(٢)، فجهاد الأجناد مقابل بالأخبار المقررة لهم، ولا يحل أن يؤخذ من الرعية شيء ما دام في بيت المال شيء من نقد أو متاع، أو أرض، أو ضياع تباع، أو غير ذلك، وهؤلاء علماء المسلمين في بلاد السلطان - أعز الله أنصاره - متفقون على هذا، وبيت المال يحمد الله تعالى معمور، زاده الله عمارة وسعةً وخيراً وبركةً بحياة السلطان، المقرونة بكمال السعادة له والتوفيق والسداد والظهور على أعداء الدين، «وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»^(٣)، وإنما يُستعان في الجهاد وغيره بالافتخار إلى الله تعالى، واتباع آثار النبي ﷺ، وملازمة أحكام الشرع.

وجميع ما كتبناه أولاً وثانياً، هو الصيحة التي نعتقدها، وندين الله بها، ونسأله الدوام عليها حتى نلقاه، والسلطان يعلم أنها صيحة له ولللرعية، وليس فيها ما يُلام عليه، ولم نكتب هذا للسلطان، إلّا لعلمنا أنه يحب الشرع، ومتابعة أخلاق النبي ﷺ، في الرفق بالرعاية والشفقة عليهم، وإكرامه لأثار النبي ﷺ، وكل ناصح للسلطان موافق على هذا الذي كتبناه.

وأما ما ذكر في الجواب من كوننا لم نُنكِّر على الكفار حين كانوا في البلاد، فكيف تُقاس ملوك الإسلام وأهل الإيمان والقرآن، بُطُّاغة

(١) الأخبار، واحدتها (الخبرة): أي النصيب.

(٢) في B: إليها.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٢٦.

الكُفَّار؟! وبأي شيء كُنَا نُذَكِّر طُغْيَة الْكُفَّار، وهم لا يعتقدون شيئاً من دِيننا؟.

وأمّا تهديد الرعية بسبب نصيحتنا، وتهديد طائفة العلماء، فليس هو المَرْجُوّ من عدل السلطان وحْلْمه، وأي حيلة لضعفاء المسلمين الناصحين نصيحة للسلطان ولهم، ولا علم لهم به، وكيف يؤاخذون به لو كان فيه ما يلام عليه؟.

وأمّا أنا في نفسي، فلا يضرني التهديد ولا أكثر منه، ولا يمنعني ذلك من نصيحة السلطان، فإنني أعتقد أنّ هذا واجبٌ علىي وعلى غيري، وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله تعالى : ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾^(١) ﴿وَأَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِالْعِبَادِ بَصِيرٌ﴾^(٢)، وقد أمرَنا رسول الله ﷺ أن نقول بالحق حيث كُنَا، وأن لا تخاف في الله لومة لائم.

ونحن نحب للسلطان أكمل الأحوال، وما ينفعه في آخرته ودنياه، ويكون سبباً لدوام الخيرات له، ويبقي ذكره على ممر الأيام، ويخلد به في الجنة ويجد نفعه ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ حَيْرَ مُخْضَرًا﴾^(٣). وأمّا ما ذُكر في تمهيد السلطان البلاد، وإدامة الجهاد وفتح الحصون وقهْر الأعداء، فهذا بحمد الله من الأمور الشائعة، التي اشتركت في العلم بها الخاصة وال العامة وطارت في أقطار الأرض ، والله^(٤) الحمد،

(١) سورة غافر: الآية ٣٩.

(٢) سورة غافر: الآية ٤٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٠.

(٤) في الأصلين: فله.

وَثُوابُ ذَلِكَ مَدْخَرٌ لِلْسُّلْطَانِ إِلَى ﴿يَوْمَ تَعِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ
أَوْ مُحْسِنًا﴾.

وَلَا حُجَّةٌ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ إِذَا تَرَكْنَا هَذِهِ النَّصِيحَةَ الْوَاجِبَةَ عَلَيْنَا، وَالسَّلَامُ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ﴾.

كتاب إلى الملك الظاهر لما احتيط على أملاك دمشق:
خطب على أملاك دمشق

وكتب إلى الملك الظاهر لما احتيط على أملاك دمشق:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ。 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ
يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيقَاتَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ لِتَبَيَّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُونُونَهُ﴾^(٢)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ
وَالثَّقَوْىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوْنَ﴾^(٣).

وقد أوجب الله على المكلفين^(٤) نصيحة السلطان - أعز الله
أنصاره -، ونصيحة عامة المسلمين. ففي الحديث الصحيح عن
رسول الله ﷺ أنه قال: «الدين النصيحة، الله، وكتابه، وأئمة المسلمين،
وعامتهم»^(٥). ومن نصيحة السلطان وفقه الله تعالى لطاعته، وتولاه
بكرامته، أن ننهي إليه الأحكام إذا جرت على خلاف قواعد الإسلام.
وأوجب الله تعالى الشفقة على الرعية، والاهتمام بالضعفاء، وإزالة الضرر
عنهم. قال الله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦). وفي الحديث

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٧.

(٣) سورة المائدة: الآية ٢.

(٤) في بـ: المكلف.

(٥) الحديث: رواه مسلم، عن أبي رُقْبَةَ ثَمِيمَ بْنَ أَوْسَ الدَّارِيِّ.

(٦) سورة الحجر: الآية ٨٨.

الصحيح، قال رسول الله ﷺ: «إنما تنتصرون وترزقون بضعفائكم»^(١)، وقال ﷺ: «من كشف عن مسلم كُربةً من كُرب الدنيا، كشف الله عنه كُربةً من كُرب يوم القيمة، والله في عَوْنَ العَبْدُ ما كان العَبْدُ في عَوْنَ أخيه»^(٢)، وقال ﷺ: «اللهم من ولِي من أمر أمتي شيئاً فرق بهم فارفعْ به، ومن شَقَّ عليهم فاشققْ عليه»^(٣)، وقال ﷺ: «كُلُّكم راعٍ وكُلُّكم مسؤول عن رعيته»^(٤)، وقال ﷺ: «إن المُقْسِطِينَ على منابرِ نورِ عن يمين الرحمن، الذين يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وَأَهْلِهِمْ وَمَا وُلُوا»^(٥).

وقد أنعم الله تعالى علينا وعلى سائر المسلمين، بالسلطان - أعز الله أنصاره -، فقد أقامه لنصرة الدين، والذب عن المسلمين^(٦)، وأذل له الأعداء من جميع الطوائف، وفتح عليه الفتوحات المشهودة، في المدة اليسيرة، وأوقع الرعب في قلوب أعداء الدين، وسائر الماردin^(٧)، ومهد

(١) الحديث: عن مصعب بن سعد قال: رأى سعد رضي الله عنه أن له فضلاً على من دونه، فقال النبي ﷺ: «هل تُنتصرون وترزقون إلا بضعفائكم». رواه البخاري (كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب).

(٢) الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «من نفس عن مؤمن كُربةً من كُرب الدنيا نفس الله عنه كربةً من كرب يوم القيمة، ومن يسر على مُعسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عَوْنَ العَبْدُ ما كان العَبْدُ في عَوْنَ أخيه...». رواه مسلم.

(٣) الحديث: عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ، قال: «اللهم من ولِي من أمر أمتي شيئاً فشقّ عليهم فاشققْ عليه، ومن ولِي من أمر أمتي شيئاً فرق بهم فارفعْ بهم». رواه مسلم.

(٤) الحديث: عن ابن عمر، (متفق عليه).

(٥) الحديث: عن عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنها، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المُقْسِطِينَ على منابرِ نورِ عن يمين الرحمن، الذين يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وَأَهْلِهِمْ وَمَا وُلُوا». رواه مسلم.

(٦) أي: الدفاع عنهم.

(٧) الماردin: الطغاة.

له البلاد والعباد، وقَمَع بسيفه أهل الزَّيْغ والفساد، وأمدَّه بالإعانة واللطف والسعادة، فله الحمد على هذه النُّعم الظاهرة، والخيرات المتکاثرة، ونَسَأَ اللَّهُ الْكَرِيمَ دوامها له وللمسلمين وزیادتها في خير وعافية^(١)، آمين.

وقد أوجب الله شكر نعمه ووعد الزيادة للشاكرين، فقال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُم﴾^(٢)، وقد لَحِقَ المسلمين بسبب هذه الحَوْطَة على أَمْلَاكِهِمْ، أَنْوَاعَ مِنَ الضَّرَرِ، لَا يَمْكُنُ التَّعبِيرُ عَنْهَا، وَتُلْبَى مِنْهُمْ إِثْبَاتًا لَا يَلْزَمُهُمْ، فَهَذِهِ الْحَوْطَةُ لَا تَحِلُّ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ مَنْ فِي يَدِهِ شَيْءٌ فَهُوَ مُلْكُهُ، لَا يَحْلُّ الْاعْتَرَاضُ عَلَيْهِ، وَلَا يُكَلِّفُ بِإِثْبَاتِهِ، وَقَدْ اشتَهِرَ مِنْ سِيرَةِ السَّلَطَانِ، أَنَّهُ يَحْبُّ الْعَمَلَ بِالشَّرْعِ، وَيُوصِي بِنُوَابَهُ، فَهُوَ أَوْلَى مَنْ عَمِلَ بِهِ، وَالْمَسْؤُولُ إِطْلَاقُ النَّاسِ مِنْ هَذِهِ الْحَوْطَةِ، وَإِفْرَاجُ عَنِ جَمِيعِهِمْ، فَأَطْلَقَهُمْ أَطْلَقَكَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، فَهُمْ ضَعَفَةٌ، وَفِيهِمُ الْأَيْتَامُ وَالْأَرَاملُ وَالْمَسَاكِينُ وَالضَّعَفَةُ وَالصَّالِحُونُ، وَبِهِمْ تُنْصَرُ وَتُغَاثُ وَتُرْزَقُ، وَهُمْ سُكَّانُ الشَّامِ الْمَبَارَكِ، جِيرَانُ الْأَنْبِيَاءِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، وَسُكَّانُ دِيَارِهِمْ، فَلَهُمْ حُرْمَاتٌ مِنْ جَهَاتِهِ، وَلَوْ رَأَى السَّلَطَانُ مَا يَلْحِقُ النَّاسَ مِنَ الشَّدَائِدِ، لَا شَتَّدَ حَزْنَهُ عَلَيْهِمْ، وَأَطْلَقَهُمْ []^(٣) فِي الْحَالِ، وَلَمْ يُؤْخِرْهُمْ، وَلَكِنْ لَا تُنْهَى إِلَيْهِ الْأَمْرُ عَلَى وَجْهِهَا^(٤).

(١) في B: وسلامة.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٧.

(٣) [منه] ؛ في : B.

(٤) في B: وجهها.

فبِاللَّهِ أَغْثِ الْمُسْلِمِينَ، يُغْثِكَ اللَّهُ، وَارْفَقْ بَهُمْ يَرْفَقُ اللَّهُ بِكَ،
وَعِجْلٌ لَهُمُ الْإِفْرَاجَ، قَبْلَ وَقْوَةِ الْأَمْطَارِ وَتَلَفِّ غَلَّاتِهِمْ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ وَرَثُوا
هَذِهِ الْأَمْلَاكَ مِنْ أَسْلَافِهِمْ، وَلَا يَمْكُنُهُمْ تَحْصِيلَ كِتَابَ شَرَاءَ، وَقَدْ نُهِبَتْ
كِتَابَهُمْ.

وَإِذَا رَفَقَ السُّلْطَانُ بَهُمْ حَصَلَ لَهُ دُعَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ رَفَقَ
بِأَمْمَتِهِ، وَنَصَرَهُ [اللَّهُ] ^(١) عَلَى أَعْدَائِهِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّ نَصْرًا لِلَّهِ
يَنْصُرُكُمْ» ^(٢)، وَتَتَوَفَّ لَهُ مِنْ رَعْيَتِهِ الدُّعَوَاتُ وَتَظَهَرُ فِي مَمْلَكَتِهِ الْبَرَكَاتُ،
وَيُبَارِكُ لَهُ فِي جَمِيعِ مَا يَقْصِدُهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ. وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرٌ هَا وَأَجْرٌ مِنْ عَمَلِهِ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَنَ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرٌ مِنْ عَمَلِهِ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ» ^(٣). فَنَسَأَلَ اللَّهَ الْكَرِيمَ أَنْ يُوفِّقَ السُّلْطَانَ لِلسُّنْنِ الْحَسَنَةِ الَّتِي يُذَكِّرُ
بَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُحْمِيهِ مِنِ السُّنْنِ السَّيِّئَةِ. فَهَذِهِ نَصِيحَتُنَا الْوَاجِبُهُ
عَلَيْنَا لِلْسُّلْطَانِ وَنَرْجُو مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُلْهِمَهُ فِيهَا الْقَبُولُ، وَالسَّلَامُ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ».

وَكَتَبَ إِلَيْهِ، لِمَا رُسِّمَ ^(٤) بِأَنَّ الْفَقِيهَ لَا يَكُونُ مَنْزَلًا فِي أَكْثَرِ مِنْ

مَدْرَسَةً وَاحِدَةً:

كتابه إلى بسب التفسير على

النهاية

(١) ساقطة في الأصلين: والسياق يستدعي إثباتها.

(٢) سورة محمد: الآية ٧.

(٣) الحديث: عن أبي عمرو جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرٌ هَا وَأَجْرٌ مِنْ عَمَلِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَنَ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرٌ مِنْ عَمَلِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ». (رواہ مسلم).

(٤) رُسِّمَ: كُتُبَ، وَالْمَرْسُومُ: مَا يَصْدِرُهُ رَئِيسُ الدُّولَةِ كِتَابَةً فِي شَأنِ مِنَ الشَّئُونِ، فَتَكُونُ لَهُ قُوَّةُ الْقَانُونِ.

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . خَدَمَةُ الشَّرِعِ يُنْهَا نَأْمَرُنَا
بِالْتَّعَوْنَ عَلَى الْبَرِّ وَالتَّقْوَى وَنَصِيحةٍ وَلَاةُ الْأُمُورِ وَعَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَخْذَ
عَلَى الْعُلَمَاءِ الْعَهْدَ بِتَبْلِيعِ أَحْكَامِ الدِّينِ ، وَمُنَاصَحةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَحَتَّى
عَلَى تَعْظِيمِ حُرْمَاتِهِ وَإِعْظَامِ شَبَاعَتِ الدِّينِ ، وَإِكْرَامِ الْعُلَمَاءِ وَاتِّبَاعِهِمْ .

وقد بلغ الفقهاء، أَنَّهُ رُسِّمَ فِي حَقِّهِمْ بِأَنْ يُغَيِّرُوا عَنْ وَظَافِفِهِمْ ،
وَيَقْطَعُوا عَنْ بَعْضِ مَدَارِسِهِمْ ، فَتَنَكَّدُتْ بِذَلِكَ أَحْوَالُهُمْ ، وَتَضَرَّرُوا بِهِذَا
التَّضِيقِ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ مُحْتَاجُونَ وَلَهُمْ عِيَالٌ ، وَفِيهِمْ^(١) الصَّالِحُونَ
وَالْمُشْتَغِلُونَ بِالْعِلُومِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ أَفْرَادٌ لَا يَلْتَحِقُونَ بِمَرَاتِبِ غَيْرِهِمْ ،
فَهُمْ مُنْتَسِبُونَ إِلَى الْعِلْمِ ، وَمُشَارِكُونَ فِيهِ ، وَلَا تَخْفِي مَرَاتِبُ أَهْلِ الْعِلْمِ
وَفَضْلِهِمْ ، وَثَنَاءُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ وَبِيَانِ مَرْتَبِهِمْ^(٢) عَلَى غَيْرِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ
وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّ^(٣) الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
تَضُعُ أَجْنِحَتِهَا لَهُمْ ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحِيَّاتَ^(٤) .

وَاللَّائِقُ بِالْجَنَابِ الْعَالِيِّ إِكْرَامُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ ، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ ،
وَمُعَاوَضَتُهُمْ ، وَدُفْعُ الْمُكَرَّهَاتِ عَنْهُمْ ، وَالنَّظَرُ فِي أَحْوَالِهِمْ ، بِمَا فِيهِ مِنْ
الرَّفْقِ بِهِمْ ، فَقَدْ ثَبَّتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
«اللَّهُمَّ مَنْ وَلَيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرْفَقَ بِهِمْ فَارْفَقْ بِهِ» ، وَرَوَى أَبُو عِيسَى
الْتَّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، أَنَّهُ كَانَ
يَقُولُ لِطَلَبَةِ الْعِلْمِ : مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
«إِنْ رَجُالًا يَأْتُونَكُمْ يَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ ، فَإِذَا أَتَوْكُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ

(١) فِي E: مِنْهُمْ .

(٢) فِي B: رَتِبَهُمْ .

(٣) فِي B: فَإِنْ .

(٤) فِي B: الْحَوْتُ فِي الْمَاءِ .

خيراً^(١). والمسؤول أنه لا يغير على هذه الطائفة شيء، وتُستجاب دعوتهم لهذه الدولة القاهرة، وقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «هل تُنصرون وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعْفَائِكُمْ». وقد أحاطت^(٢) العلوم بما أجب به الوزير نظام الملوك^(٣)، حين انكر عليه السلطان صرف الأموال الكثيرة في جهة طلب العلم، فقال: «أقمت لك بها جنداً لا تُرْدُ سِهَامَهُمْ». فاستصوب فعله، وساعدَه عليه.

واللهُ الْكَرِيمُ يُؤْفِقُ الْجَنَابَ دَائِماً لِمَرْضَايَهِ، وَالْمَسَارِعَةِ إِلَى طَاعَتِهِ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ».

(١) الحديث: عن أبي هارون العبدلي، قال: كنا نأتي أبي سعيد، فيقول: مرحباً بوصيّة رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ النَّاسَ لِكُمْ تَبَعُ، وَإِنْ رَجُالًا يَأْتُونَكُمْ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ، يَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ، فَإِذَا أَتَوْكُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا». (جامع الترمذى ، من أبواب العلم: باب ما جاء في الاستیصاء بن يطلب العلم).

(٢) في E: أحيلت.

(٣) نظام الملوك: أبو علي، الحسن بن علي بن إسحق الطوسي، قوام الدين. من جلة وزراء الدولة السلجوقية، كان مجلسه عامراً بالعلماء، أنشأ المدارس في الأ蚊ار، اشتغل بالعلم وأ Merlin وحدّث. توفي سنة ٤٨٥، خمس وثمانين وأربعين مائة. (شذرات الذهب: . ٣٧٣/٣).

ذِكْرُ وفاته رحمه الله تعالى

قال ابن العطار :

كان الشيخ لا يأخذ من أحد شيئاً، إلا ممّن تحقق دينه ومعرفته، ظهور أمارات ندل على فربه
ولأله به علقة^(١) من إقراء أو انتفاع به.

قال : و كنت جالساً بين يديه قبل انتقاله بشهرين ، وإذا بفقيير قد دخل عليه وقال :

«الشيخ فلان من بلاد صَرْخَد^(٢) يُسلّم عليك وأرسلَ معي هذا الإبريق لك». فَقِيلَه وأمرني بوضعه في بيت حوائجه، فتعجبت منه لِقبولِه، فشعر بتعجبِي ، وقال :

«أَرْسَلَ إِلَيَّ بعض الفقراء زِنْبِيلًا^(٣)، وهذا إبريق، فهذه آلة السَّفَر».

(١) علقة : تعلق وارتباط.

(٢) صَرْخَد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق.

(٣) الزِّنْبِيل : الجراب أو القفة (وعاء يحمل فيه الطعام).

قال الذهبي^(١): وعَزَمَ عَلَيْهِ شَخْصٌ^(٢) فِي رَمَضَانَ لِيُفَطِّرَ عَنْهُ، فَقَالَ: «أَحْضِرْ طَعَامَكَ هَنَا نُفَطِّرْ جُمْلَةً»^(٣).

قال ابن العطار:

ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ يَسِيرَةٍ كَنْتُ عَنْهُ، فَقَالَ: «قَدْ أَذِنْ لِي فِي السَّفَرِ». فَقَلَتْ: كَيْفَ أَذِنْ لَكَ؟

قال: «[بَيْنَا]^(٤) أَنَا جَالِسٌ هَا هُنَا، - يَعْنِي بَيْتِهِ بِالْمَدْرَسَةِ الرَّوَاحِيَّةِ، وَقُدَّامَهُ طَاقَةٌ مَشْرُفَةٌ عَلَيْهَا - مُسْتَقْبَلُ الْقِبْلَةِ، إِذْ مَرَّ عَلَيْيَّ شَخْصٌ فِي الْهَوَاءِ مِنْ هَنَا، [وَمِنْ]^(٥) كَذَا] - يُشَيرُ مِنْ غَربِيِّ الْمَدْرَسَةِ إِلَى شَرْقِهَا -، وَقَالَ: قُمْ سَافِرْ لِزِيَارَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

ثُمَّ قَالَ^(٦): «قُمْ حَتَّى نُوَدِّعَ أَصْحَابَنَا وَأَحْبَابَنَا».

فَخَرَجْتُ مَعَهُ إِلَى الْقَبُورِ الَّتِي دُفِنَ فِيهَا بَعْضُ شَيْوَخِهِ، فَزَارَهُمْ، وَبَكَى، ثُمَّ زَارَ أَصْحَابَهِ الْأَحْيَاءِ، ثُمَّ سَافَرَ صَبِيْحَةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

وقَالَ^(٧): وَجَرَى لِي مَعَهُ وَقَائِعٌ، وَرَأَيْتُ مِنْهُ أَمْوَارًا تَحْتَمِلُ
مَجَلَّدَاتٍ. فَسَارَ إِلَى نَوْيٍ، وَزَارَ الْقَدْسَ وَالْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ عَادَ
إِلَى نَوْيٍ، [وَمَرَضَ بِهَا]^(٨) فِي بَيْتِ وَالَّدِهِ، فَبَلَغَنِي مَرْضُهُ، فَقَدِيمَتُ^(٩) مِنْ
زيارة القدس والخليل

(١) تذكرة الحفاظ: ٤ / ١٤٧٣.

(٢) هو الشيخ برهان الدين الإسكندراني، كما في «التذكرة».

(٣) أي جماعة.

(٤) ساقطة في الأصلين، والأصوب إثباتها، كما في السحاوي.

(٥) في الأصلين.

(٦) أي النَّوْيِّ.

(٧) ابن العطار.

(٨) في E: فَمَرَضَ فِيهَا.

(٩) في B: فَذَهَبَتْ.

دمشق لعيادته، ففرح بي، وقال: «ارجع إلى أهلك». وودّعته وقد أشرف على العافية، يوم السبت العشرين من رجب سنة ست وسبعين وستمائة، وتُوفّي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من رجب، ودُفن صبيحتها بنوی. وفاته

قال^(١): فبِينَا أَنَا نَائِمٌ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، إِذَا مَنَادٍ يَنْادِي بِجَامِعِ دَمْشَقِ: «الصَّلَاةُ عَلَى الشَّيْخِ رَكْنِ الدِّينِ الْمُوقَعِ».

فاصاح الناس لذلك []^(٢)، فاستيقظتُ، فبلغنا ليلة الجمعة موته، وصلّي عليه بجامع دمشق، وتأسف المسلمون عليه تأسفاً بلغاً، فعننا والله في دمشق الخاصّ والعامّ، المادح والذّام.

ورأيت في تاريخ الذهبي^(٣)، أنّ بعض الصالحين قتل الشيخ بالحال^(٤) لأمرٍ ثم ندم على ذلك، وأنّه قال لوالده: أتحبّ أن يموت عندكم أم في دمشق؟ . فقال: عندنا^(٥).

(١) ابن العطار.

(٢) [النداء]، (ساقطة من الأصلين، ومثبتة في السحاوي).

(٣) انظر السحاوي: ٤ - ٥.

(٤) الحال: الطين الأسود والحمّاء، أو الرماد الحار.

(٥) الشيخ الصالح هو الشيخ ياسين المراكشي السالف ذكره.

وأمّا ما أورده الذهبي في تاريخه، فهو مخالف لكلام ابن العطار الذي أشار إلى الشيخ ياسين هذا عند ذكر نشأة الإمام النووي (انظر ص ١٦ من الكتاب). ويعلق السحاوي على ما ذكره الذهبي، فيقول (ص ٥): وأما قوله: ويقال إنه قتله الحال، فمنكر، وقد استبعده التقى ابن قاضي شهبة حيث قال: «وهذا بعيد جداً أن يقع أن مثل النووي يقع منه ما يوجب أن ولّ الله يتغّير عليه حتى يصل إلى قتله، وبعيد من الولي أيضاً قتل مثل النووي، قال: وإنما هذه نزعة شيطانية نعوذ بالله من ذلك». اهـ.

قلت: فهو رضي الله عنه شهيد، جَمَعَ بين مرتبتي العلم والشهادة،
نفعنا الله به.

قال ابن العطار:

وَذَكَرَ لِي جماعةٌ مِنْ أَقْارِبِهِ، أَنَّهُمْ سُأَلُواْ أَنْ لَا يُنْسَاهُمْ فِي عِرَصَاتٍ^(١) الْقِيَامَةِ، فَقَالُواْ لَهُمْ^(٢) :

«إِنْ كَانَ ثُمَّ جَاهَ، وَاللَّهُ لَا يُدْخِلُ النَّارَ وَآخِذُ مَنْ أَعْرَفَهُ وَرَأَيَّهُ، وَلَا يُدْخِلُهَا إِلَّا بَعْدِهِمْ». .

ولمّا دُفِنَ، أراد أهْلُهُ أَنْ يُبْنِيَا عَلَيْهِ قُبَّةً، فجاءَ فِي النَّوْمِ إِلَى عَمْتَهُ، رَوَاهُ بَعْضُ أَهْلِهِ لِهِ فِي الْمَنَامِ وَقَالَ لَهَا:

«قولي لأنخي وللجماعة لا يفعلوا هذا الذي عزموا عليه من البناء، لأنهم كلما بنوا شيئاً ينهدم»^(٣).

فامتنعوا، وحوّطوا على قبره بالحجارة.

وقال ابن فضل الله : حكى لنا أخوه ، الشيخ عبد الرحمن ، أنه لما مرض مرض موتة ، اشتتهى التفاح ، فجيء به فلم يأكله ، فلما مات رأه بعض أهله ، فقال : ما فعل الله بك ؟

فقال: «أَكْرَمَ نُزُلِي، وَتَقْبَلَ عَمْلِي، وَأَوْلَ قَرَائِي^(٤) جَاءَنِي: التَّفَاح». .

(١) العروضات: الساحات.

. B ساقطة : في (٢)

(٣) فی B: پنهان

(٤) القِرْيَ: مَا يُقَدَّمُ لِلضَّيْفِ.

وأخبرني بعضُ الطّلبة، أنّ شخصاً جاءَ إلى قبره وجعل يقول: أنت الذي تخالف الرافعي وتقول قلت، ويُشير إليه بيده، فما قام حتى لدغته فيها عقرب.

ورأيت في إنباء الغمر، لشيخ الإسلام ابن حجر - رحمه الله - في ترجمة الجمال الريمي، شارح التنبية، أنه كان كثيراً [الحطّ على الشيخ]^(١) محبِي الدين، فلما مات جاءت هرّة وهو على المُغتسَل، فانتَزَعَت لسانه. قال: فكان ذلك عِبْرَة للناس^(٢).

(١) في B: الإزدراء بالشيخ.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن أبي بكر، جمال الدين الريمي. والرواية كما ذكرها ابن حجر، كالأتي: «قال لي الجمال المصري: كان الريمي كثير الإزدراء بالنwoي، فرأيت لسانه في مرض موته وقد اندلع وأسود، فجاءت هرّة فخطفته، فكان ذلك آية للناظرين». (إنباء الغمر: ٤٨/٣).

قصيدة لشاعر الأدب
أبو عبدالله الإربلي

ذكر شيء مما رأي به

قال الشيخ العلامة، شيخ الأدب، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عمر بن أبي شاكر الحنفي الإربلي^(١):

[من البسيط]

وَخَابَ بِالْمَوْتِ فِي تَعْمِيرِكَ الْأَجْلُ^(٢)
وَسَاءَهَا فَقْدُكَ الْأَسْحَارُ وَالْأَصْلُ^(٣)
مَسْدَدًا مِنْكَ فِيهِ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ
لَا يَعْتَرِيكَ عَلَى تَكْرَارِهِ مَلِلُ
وَأَنْتَ بِالْيَمْنِ وَالتَّوْفِيقِ مُشْتَمِلُ
عَلَى جَدِيدٍ كَسَاهُمْ ثُوبُكَ السَّمَلُ^(٤)

عَزَّ الْعَزَاءِ وَعَمَّ الْحَادِثُ الْجَلْلُ
وَاسْتَوْحَشْتَ بَعْدَمَا كُنْتَ الْأَنِيسَ بِهَا
قَدْ كُنْتَ لِلَّذِينَ نُورَاً يُسْتَضَاءُ بِهِ
وَكُنْتَ تَتَلُّو كِتَابَ اللَّهِ مُعْتَبِرًا
وَكُنْتَ فِي سُنَّةِ الْمُخْتَارِ مُجْتَهِدًا
وَكُنْتَ زَيْنًا لِأَهْلِ الْعِلْمِ مُفْتَخِرًا

(١) القصيدة في تاريخ ابن الفرات: ١١٠/٧، وفوات الوفيات: ٤/٥٧٧ (الأبيات التي بين حاضرتين، لم ترد في الأصلين، وقد أثبتناها لورودها في جميع المصادر التي رأيناها مُتضمنة القصيدة، وميّزت بالخط المائل). وللإربلي ديوان مشهور وشعر رائق.

فمن شعره قوله:

بَيْنَ الْوَرَى أَنْتَ الْعَلِيمُ بِقَرْحِهِ
تَعْدِيلُ كُلِّ مِنْهَا فِي جُرْحِهِ
فِيهِ سِواكٌ مِنَ الْأَنَامِ فَنَحْهِ

قَلْبِي وَطَرْفِي ذَا يَسِيلُ دَمًا وَذَا
وَهْمًا بِحُبِّكَ شَاهِدًا وَإِنَّمَا
وَالْقَلْبُ مِنْزِلُكَ الْقَدِيمُ فَإِنْ تَجِدُ
(٢) الْجَلْلُ: الْعَظِيمُ □ خَابُ: انقطع أمله.

(٣) الْأَصْلُ: واحدها: الأصيل، وهو الوقت بين المغرب والعشرين.

(٤) الثوب السمل: البالي.

وَكُنْتَ أَسْبَغْهُمْ ظِلًا إِذَا اسْتَعَرَتْ
 كَسَاكَ رَبُّكَ أَوْ صَافَا مُجْمَلَةً
 أَسْلَى كَمَالَكَ عَنْ قَوْمٍ مَضَوْا بَدَلًا
 فَمِثْلُ فَقْدِكَ تَرْتَاعُ الْعُقُولُ لَهُ
 زَهِدتَ فِي باطِلِ الدُّنْيَا وَرُخْرُفَهَا
 أَغْرَضْتَ عَنْهَا احْتِقَارًا غَيْرَ مُحْتَفِلٍ
 عَزْفَتَ عَنْ شَهْوَاتِ مَا لِعَزْمٍ فَتَّى
 أَسْهَرْتَ فِي الْعِلْمِ عَيْنًا لَمْ تَذَقْ سِنَةً
 [يَا لَهُفْ حَفْلٌ عَظِيمٌ كُنْتَ بِهِجَتَهُ
 وَطَالِبُو الْعِلْمِ مِنْ دَانٍ وَمُغْتَرِبٍ
 حَارَوا لِغَيْبَةِ هَادِيهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ
 تُرَى دَرَى تُرْبَهُ مِنْ غَيْبَوْهُ بِهِ
 عَنَاهُ شُغْلَهُمْ دَهْرًا وَعَادِلَهُمْ
 يَا مُحِبِّي الدِّينِ كَمْ غَادَرْتَ مِنْ كِيدِ
 وَكَمْ مَقْامٌ كَحَدَ السَّيْفِ لَا جَلَدُ
 أَمْرَتَ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ مُتَنْضِيًّا]

هُوَاجِرُ الْجَهَلِ وَالْأَطْلَالِ يَنْتَقِلُ^(١)
 يَضِيقُ عَنْ حَصْرِهَا التَّفْصِيلُ وَالْجَمْلَ
 وَعَنْ كَمَالِكَ لَا مُسْلِلٌ وَلَا بَدْلٌ^(٢)
 وَفَقْدُ مِثْلَكَ جُرْحٌ لِيْسَ يَنْدَمِلُ
 عَزْمًا وَحْزَمًا فَمُضْرُوبٌ بِكَ الْمَثَلُ
 وَأَنْتَ بِالسَّعْيِ فِي أَخْرَاكَ مُحْتَفِلٌ
 بِهَا سِواكَ إِذَا عَنَّتْ لَهُ قَبْلُ^(٣)
 إِلَّا وَأَنْتَ بِهِ فِي الْحُكْمِ مُشْتَغِلٌ^(٤)
 وَحْلَةٌ فَعْرَاهُ بَعْدَكَ الْعَطَلُ^(٥)
 نَالُوا بِيُمْنَكَ مِنْهُ فَوْقَ مَا أَمْلَوْا
 لَفَرْطٌ حُزْنٌ عَلَيْهِ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
 أَوْ نَعْشُهُ مَنْ عَلَى أَعْوَادِهِ حَمَلُوا؟
 بِلَاعِجُ الْوَجْدِ عَنْ أَشْغَالِهِمْ شَغْلٌ^(٦)
 حَرَّى عَلَيْكَ وَعَيْنٌ دَمْعُهَا هَطْلٌ
 يَقْوِي عَلَى هَوْلَهُ فِيهِ وَلَا جَدْلٌ
 سِيفًا مِنْ الْعَزْمِ لَمْ يُصْنَعْ لَهُ خَلْلٌ^(٧)

(١) السابع: الطويل، التام □ الهاجر؛ واحدها: الهاجرة، وهي شدة الحر.

(٢) أَسْلَى عن كذا = جعل يسلو: كشف الهم أو نحوه. ومنه: السُّلُوان، وهو النسيان وطيب النفس بعد فراق الأحبة.

(٣) عَنَّتْ: عرضت □ ما لَهُ بِهَا قَبْلَ: مَا لَهُ بِهَا طَاقَة.

(٤) السَّنَة: النعاس، وهو مبدأ النوم.

(٥) العطل، (من عطل)، أي: خلا.

(٦) اللاعب: الهوى المحرق.

(٧) مُنْتَضِيًّا، (انتضي السيف): أخرجه من غمده.

وَهِمَّةٌ هَامَةُ الْجُوزَاءِ تَتَّعِلُ^(١)
 حَتَّى اسْتَقَامَتْ وَحَتَّى زَالَتِ الْعِلَلُ
 ثَوَابُهُ فِي جَنَانِ الْخَلْدِ مُتَّصِلٌ
 إِلَى الْكَرَامَةِ مِنْ أَلْطَافِهِ نَزَلَ
 فَقَدْ تَكَافَأَ فِيكَ الْحُزْنُ وَالْجَذَلُ^(٢)
 لَهُ وَالنَّوْمُ قَدْ خَيْطَتْ بِهِ الْمُقْلُ^(٣)
 إِذَا الْهَجِيرُ بِنَارِ الشَّمْسِ تَشْتَعِلُ
 وَرْوَضَةُ النَّضْرِ مِنْ سُحبِ الرَّضَاحِضُلُ^(٤)
 الْمُلُوكُ رُدُّ الرَّدِيِّ عَنْهُمْ وَلَا الرَّسُولُ
 وَلَا حَصُونُ مَيِّعَاتُ وَلَا قُلُلُ^(٥)
 وَضَاحَكَ السَّنُّ مِنْهُ يَضْحَكُ الْأَجْلُ
 حِينَ الْوِلَادِ مَعَ الْأَنْفَاسِ مُرْتَحِلُ
 إِلَى مَحْلٍ تَلَاهُ سَاقِيْ عَجِلُ

[من الكامل]

فَجَنَى عَلَى الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ^(٦)

وَكُمْ تَوَاضَعْتَ عَنْ فَضْلٍ وَعَنْ شَرَفٍ
 [عَالَجْتَ نَفْسَكَ وَالْأَدْوَاءُ شَامِلَةُ
 بَلَغْتَ بِالْتَّعَبِ الْفَانِي رِضَى مِلَكٍ
 ضَيْفُ الْكَرِيمِ جَدِيرٌ أَنْ يُضَافَ لَهُ
 بَرَرْتَ أَهْلِيكَ فِي دَارِيْكَ مُحْتَسِبًا
 فُجِعْتَ بِالْأَمْسِ لِيَلًا كُنْتَ سَاهِرَهُ
 رَجَاكَ نُورُ نَهَارٍ كُنْتَ صَائِمَهُ
 [لَا زَالَ مَثْواكَ مَثْوَى كُلِّ عَارِفَةٍ
 إِلَى مَتَى بِغَرْوِ نَطْمَئِنُّ وَلَا
 وَلَا حِمَّىٌ مِنْ حِمَامٍ جَحْفَلٍ لِجَبٍ
 يَا لَا هِيَا لَا هِيَا عَنْ هُولِ مَصْرَعِهِ
 لَا تُخْلِ نَفْسَكَ مِنْ زَادٍ فَإِنَّكَ مِنْ
 وَمَا مَقَامٌ يَدِيمُ السَّيْرَ يَتَبَعُهُ

وقال أيضًا:

نَبَأُ أَصْمَّ بِهِ وَأَصْمَى النَّاعِي

أَيْنَ أُخْرَى لَهُ

(١) الْهِمَّةُ: الْعَزْمُ الْقَوِيُّ □ الْهَامَةُ: الرَّأْسُ □ اتَّعَلَ الشَّيْءُ: وَطَئَهُ.

(٢) مُحْتَسِبًا: صَابِرًا وَمَدْخِرًا الْأَجْرِ عَلَى صِبْرِهِ □ تَكَافَأَ (الشَّيْئَانُ): تَمَاثِلًا وَاسْتَوِيَا، □ الْجَذَلُ: الْفَرَحُ.

(٣) فِي E: بِالْأَنْسِ.

(٤) الْعَارِفَةُ: الْإِحْسَانُ □ النَّضْرُ, (نَبَاتُ نَضِيرٍ): جَمِيلٌ ذُو رَوْنَقٍ وَبِهِجَةٍ □ خَطْلُ: نَدِيٌّ.

(٥) الْحِمَامُ: قَضَاءُ الْمَوْتِ وَقَدْرُهُ □ الْجَحْفَلُ: الْجَيْشُ الْكَثِيرُ فِي الْخَيْلِ, وَلِجَبُ: أَيِّ مَضْطَرْبٍ □ قَلْلُ, وَاحِدُهَا (قُلَّةً): أَيِّ قَمَّةٍ.

(٦) نَبَأُ أَصْمَّ فَلَانًا: صَيْرَهُ أَصْمَّ (لِجَلَالِهِ وَعَظِيمَتِهِ) □ أَصْمَى: أَصَابُ, (أَصْمَى الصِّيد): أَصَابَهُ فَوْقَ بَيْنِ يَدِيهِ.

شمسُ الضُّحى حُزناً بغير شُعاعِ
ما أشْبَهُ الأَوْجَالَ بِالْأَوْجَاعِ
وَبِأَيِّ كُلِّ ثَنِيَّةٍ طَلَاعٌ^(١)
هَادِي جَمِيلٌ مُنَاقِبٌ وَمُتَاعٌ^(٢)
وَسَعَى بِبَارِقٍ ذَهْنَهُ الْلَّمَاعِ
بِخُطُوطٍ فِي الْعِلُومِ وَسَاعِ
إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ أَفْضَلُ دَاعِ
عَنْ رَثِيمِ الْأَشْعَارِ وَالْأَسْجَاعِ^(٣)

غَدَتِ النُّفُوسُ بِهِ شُعاعاً إِذْ بَدَتْ
أَوْدَى بِهَا خَوْفُ التَّفَرْقِ قَبْلَهُ
حَلَّ الْمَصَابُ بِرَبِّ كُلِّ فَضْيَلَةٍ
هَادِي إِلَى السَّنَنِ الْقَوِيمِ وَسُنَّةِ الْ
«يَحِيَ» الَّذِي أَحْيَا الْفَضَائِلَ سَعْيَهُ
الْقَانِتُ الْقَوَامُ وَالصَّوَامُ وَالسَّاعِي
مَا زَالَ أَوْحَدَ دَهْرَهُ فِي عَصْرِهِ
خَبَرُ جَلِيلٍ جَلَّ فِي تَأْبِينِهِ

وقال قاضي القضاة، نجم الدين أحمد بن محمد بن سالم بن الحسن بن صدرى^(٤):

صدرى

(١) الثنية: الطريق في الجبل، ويقال: (فلان طلاع الثناء): جَلَدٌ يتحمل المشاق أو ساعٍ لمعالي الأمور.

(٢) السنن: النهج والطريق.

(٣) الأسجاع، واحدتها (السجع): وهو الكلام المُقْفَى غير الموزون.

(٤) الشيخ الإمام العالم، قاضي القضاة، أحمد بن محمد بن سالم بن صدرى، نجم الدين، أبو العباس، الربعي التغلبي، الدمشقي، الشافعى. دخل ديوان الإنشاء ونظم ونشر وشارك في فنون. تولى قضاء العساكر، ثم قضاء الشام، ثم أضيف إليه مشيخة الشيوخ. كان حسن الأخلاق، كثير التودد، كريم المجالسة، متواضعاً، وكان ينطوي على دين وتعبد، وكان له أموال وخدم وهو من بيت حشمة. ومما ينسب إليه من الشعر:

غدا سقمي في حبهم وهو ظاهرُ
سوى ذكرهم يا حذاك المسامرُ
مقيم على عهد الأحبة صابرُ
إذا بات من أهواه وهو مهاجرُ
وغير هواكم تَسِيرُ السرائرُ
توفي سنة ٧٢٣ ثلث وعشرين وسبعيناً. (البداية والنهاية: ١٤/١٠٦، الدرر الكامنة: ١/٢٨٠، فوات الوفيات: ١/١٢٥).

ومنذ خفيت عني بدور جمالهم
وقد بت مالي في الغرام مسامر
وإنى على قرب الديار ويعدها
ومالي أنصار سوى فيض أدمعي
أحباباً غبت فغابت مسرتي

أعْيَنِي جُوداً بالدُّموع الهاطل
على الشِّيخ مُحَبِّي الدِّين ذِي الْفَضْلِ وَالْتَّقْى
عَلَى قَانِتْ بَرِّ طَهُورٍ مُّوْفَّقٍ
لَقَدْ كَانَ فَرْدًا فِي الزَّمَانِ مُكْمَلًا
لَقَدْ كَانَ عَنِ دِينِ الإِلَهِ مُنَاضِلًا
لَقَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا الدُّنْيَةَ زَاهِدًا
لَقَدْ كَانَ فِي الْأُخْرَى الْعَلِيَّةَ جَاهِدًا
لَقَدْ كَانَ بِالْمَعْرُوفِ لِلنَّاسِ آمِرًا
فَكَمْ قَامَ فِي الْإِسْلَامِ حَقًّا قِيَامَه
وَكَمْ لَذُوي الْجَاهَاتِ وَاجَهَ مَعْلَنَا
وَكَمْ بِالْهُدَى وَالْحَقِّ شَافَهَ مُنْكِرًا
فَإِنْ هُوَ عَنِ رُؤْيَاهُ أَصْبَحَ عَاجِزًا

شعر لابن المظفر الكندي

(١) السّيارات: السُّجُنُ التَّيْ تَحْمِلُ لِلَّا.

(٢) مساجد : میار :

ومن شعره قوله:

الزهر في الأكمام راح مقطباً
وغلت تبشره بإقبال الحيا
توفي سنة ٧١٠ عشرة وسبعمائة. (فو
شنرات الذهب: ٦/٣٩).

والريح قد خطرت عليه بذيلها
حتى تبسم ضاحكاً من قولها
لوقايات: ٩٨/٣، البداية والنهاية: ١٤/٧٨

سَنَدًا لِأَعْلَامِ الْهُدَى وَظَهِيرًا^(١)
 يَخْشى مَلِيكًا قَاهِرًا وَأَمِيرًا
 بِالبَاقِيَاتِ الصَالِحَاتِ مُشِيرًا
 نَصَحَ السَورَى لِلَّهِ أَوْ مَعْذُورًا^(٢)
 جَلَا فَأَوْلَاهَا قَلَى وَنَفُورًا^(٣)
 يَوْمًا لَدِيهِ وَلَا النَّضَارَ نَضِيرًا^(٤)
 إِذْ قَامَ دَيْجُورَا وَصَامَ هَجِيرَا
 فَأَفَادَنَا نَشْرًا لَهَا وَنُشُورًا^(٥)
 مَعَ أَنَّهُ يَهْدِي الْهُدَى وَالنُّورَا^(٦)
 فَأَخَافُ <ذَلِكَ بَدِيلًا وَتَبِيرًا>
 أَضْحَتْ دَوَارَسَ لَا تَبِينَ دَثُورَا^(٧)
 تُبَدِي عَلَيْهِ حُرْقَةً وَزَفِيرًا^(٨)
 عَادَتْ عَلَيْهِ جُنَاحَةً وَحَرِيرَا^(٩)
 صِدْقَ الْمَقَالِ لِنَفْسِهِ وَهَجِيرَا^(١٠)

لَهْفي عَلَيْهِ سِيدًا وَحَصُورَا
 وَمُجَاهِدًا وَمُهَاجِرًا فِي اللَّهِ لَا
 وَمُشِيدًا رُكْنَ الشَّرِيعَةِ نَاصِحًا
 مَا أَنْ يَبَالِي رَاحَ مَعْذُولًا إِذَا
 عَفَّ عَنِ الدُّنْيَا وَكَمْ عُرِضَتْ لَهُ
 لَمْ يَصْبِحِ الْوَدْقُ الْمُزَخْرُفُ رَائِقًا
 هَجَرَ الْكَرَى وَالْطَّيَّاتِ تَوْرِعًا
 أَحِيَا شَرِيعَةَ أَحْمَدٍ وَأَقَامَهَا
 يُفْتَنُ فَيُفْتَنُ كُلَّ حَبْرٍ عِلْمُه
 مَا مَاتَ «يَحِيَ» إِنَّمَا جَبَلُ هَوَى
 إِنَّ الْمَدَارِسِ وَحْشَةُ لِفَرَاقِهِ
 وَكَذَا الْمَسَاجِدُ بِالْمَصَابِيحِ اِنْشَتْ
 تَلَكَ الزَّوَایَا وَالثَّيَابُ الْخُشنُ قَدْ
 آهَا عَلَى الْأَوَاهِ وَالْأَوَابِ مِنْ

(١) الحصور: الممتنع عن الانغماس في الشهوات.

(٢) المعدول: الملوم، والمعدور: المرفوع عنه اللوم.

(٣) عَفَّ: كفَ □ جلا: زال □ القلى: البعض والهجر.

(٤) الْوَدْقُ: الموضع فيه عشب وبقل □ المزخرف، الزُّخْرُف (هنا): ألوان النبات.

(٥) الشور: (مبالغة في النشر).

(٦) الْحَبْرُ: العالم.

(٧) دوراس، درست: امْحَتْ وزال أثرها، أو تغير حالها □ دَثُورَا: مُتدَرِّه، أي مغطاة بالدثار، وهو اللباس أو الغطاء.

(٨) اِنْشَتْ: مالت وانعطفت.

(٩) الْجُنَاحَةُ: السُّترة وكل ما يَقِي الجسم.

(١٠) الأَوَاهُ: الكثير الدعاء، والأَوَابُ: التائب، الراجع عن ذنبه.

يُبْدِي رِيَاءً لِلأنام وَزُوراً^(١)
عِنْدَ الْمُلُوكِ بِهَا الْوَرَى الْمَحْذُورَا
نُوراً، إِذَا ظَنَ السَّحَابُ غَدِيرًا
فِيهَا فُبُورِكَ طَاهِرًا وَطَهُورًا

وَالظَّاهِرُ الْأَعْرَاضُ وَالْأَغْرَاضُ لَا
وَدْرِبُهُ عِنْدَ الْحَوَادِثِ تَتَقَى
ضَمَّتْ نَوْيَ الْجَوَانِ مِنْ أَخْلَاقِهِ
وَتَقدَّسْتَ بِقُدُومِهِ مِنْ قُدْسِهِ

شُرُّ لَابْنِ فَضْلَةَ وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مَصْعُوبَ: قَالَ ابْنُ فَضْلَةَ اللَّهُ -
وَكَانَ قَرَأَ عَلَيْهِ قِطْعَةً مِنَ الرَّوْضَةِ -:

[من الطويل]

لِفَقْدِ اُمْرَىءِ كُلِّ الْبَرِّيَّةِ تَبَكِّيَهُ
وَتَقْوَاهُ فِيمَا كَانَ يُبْدِي وَيُخْفِيَهُ^(٢)
إِلَى عَيْشِهَا فَاللَّهُ لَا شَكَّ يُرْضِيَهُ
وَاتِّبَاعُهُ هَذِيَا فَمَنْ ذَا يُدَانِيهُ
يُصْنَفُهُ فِي ذَا وَهَذَا كَيْرُوِيَهُ^(٣)
وَكُمْ سُنَّةُ أَحَى يُحْسِنُ مَسَاعِيَهُ
وَأَهْلُوهُ وَالْكِتَبُ الصَّحَاحُ وَقَارِيَهُ
تُخْبِرُ أَنَّ الدِّينَ قَدْ مَاتَ مُحْيِيَهُ
فَلَا غَرُوْ أَنَا فِي الْمُصَابِ نُعَزِّيَهُ^(٤)

أَكْتُمْ حُزْنِي وَالْمَدَامُ تُبَدِّيَهُ
رَأَى النَّاسُ مِنْهُ زَهْدٌ «يَحْسِي» سَمِيَّهُ
وَلَمْ يَرْضَ بِالْدُّنْيَا وَلَا مَالَ لِحظَةٍ
تَحْلِي بِأَوْصَافِ النَّبِيِّ وَضَحْبَهُ
حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ وَالْفِقَهُ دَأْبُهُ
يَرَى الْمَوْتَ يَحْسِي فِي إِمَاتَةٍ بِدُعَةٍ
شَكِّي فَقْدَهُ عِلْمُ الْحَدِيثِ وَحِفْظُهُ
وَلَا حَلَى وَجْهِ الْعِلُومِ كَآبَةٌ
إِذَا عَدِمَ الْإِسْلَامُ أَشْرَفَ أَهْلَهُ

شُرُّ لَابْنِ الْعَارِفَةِ وَقَالَ الْفَقِيْهُ سَلِيمَانُ بْنُ أَبِي الْحَارِثِ الْأَنْصَارِيِّ الْحَنْفِيِّ :
[من الطويل]

شُرُّ لَابْنِ الْعَارِفَةِ
الْأَنْصَارِيِّ

(١) الأعراض: واحدها (العرض)، وهو: البدن أو النفس، وهو ما يمدح ويُذم من الإنسان □ والأغراض: المقاصد والغايات.

(٢) سَمِيَّهُ: موافقه في اسمه، أو نظيره.

(٣) دَأْبُهُ: شأنه وعادته.

(٤) لا غرو: لا عجب.

وَخَطْبٌ أَتَى بِالْحَزْنِ لِلصَّبْرِ فَرَّقَ^(١)
وَسَهْمٌ إِلَى عَيْنِ الشَّرِيعَةِ فُوقًا^(٢)
وَإِنْ كَانَ قَدْ عَمِّ الطَّوَافَ مُطْلِقاً
كُسْمٌ خِيَاطٌ أَوْ مِنَ السُّمِّ أَضِيقَا^(٣)
وَعِقْدٌ نَظَامُ الْعِلْمِ وَالْحَلْمِ وَالتُّقْنِي^(٤)
فَرَى هَامَةً الْخَطْبَ الْجَسِيمَ وَفَرَّقَا
لِفَقْدِكَ مُحِبِّي الدِّينِ بِيَدِهِ سَمْلَقاً^(٥)
وَكِيفَ وَإِحْيَاِ الْعِلُومِ هُوَ الْبَقَا
يَرُدُّ الرَّدَى عَنْهُ وَلَوْ جَرَّ فَيَلْقَا^(٦)
ثَبَاتُ جَنَانٍ لَا تَشَنَّى عَنْهُ أَخْرَقاً^(٧)
وَلَا ضَمْ جَنْبِيكَ الصَّفِيْحُ مُطْبِقاً^(٨)
عَلَى سَعَةِ صَدْرِ الْبَسيْطَةِ ضَيِّقاً
يُعْاهِي بِهِ دَارُ الْمُقَامَةِ وَالْبَقَا

مَصَابُ أَصَابَ الْقَلْبَ لِلْجَفْنِ أَرْقاً
وَرِزْءٌ تَغْشِيُّ الْمُسْلِمِينَ بِأَسْرِهِمْ
وَلَمْ يَعْدُ قَلْبُ الشَّافِعِيَّةِ فَضْلَهُ
وَضَاقَ الْفَضَاءُ الرَّحْبُ حَتَّى لَقِدْ غَدَا
بِمَنْ كَانَ حَلِيًّا لِلزَّمَانِ وَأَهْلَهِ
إِذَا مَا انتَضَاهَ الشَّرْعُ مِنْ أَجْلِ حَادِثٍ
فَأَصْبَحَتِ الْأَقْطَارَ وَالْكَوْنُ كُلُّهُ
فَأَرَيْتَكَ لَا أَنِي ظَنَّتُكَ مِيتًا
«أَبَا زَكْرِيَا» أَلِيسَ لِلمرءِ مُلْجَأً
«أَيْحَى» لَوْ أَنَّ الْمَوْتَ يُثْبِنِيهِ عَنْ فَتَنِي
وَمَا مَدَّ صَرْفُ الْدَّهْرِ نَحْوَكَ بَاعَهُ
وَكِيفَ يُوارِي الْمَرْءُ عَلَمًا غَدَا بِهِ
فَطُوبَى لِقَبْرِ ضَمْمَهُ فَلَقْدْ غَدَا

وقال الفقيه أبو عبد الله محمد الميلمي أحد فقهاء الناصرية بدمشق :

[من الكامل]

وَتَعَطَّلَتْ مِنْ جُلُّهَا طَلَابُهَا^(٩)

سُبُّلُ الْعِلُومِ تَقْطَعْتُ أَسْبَابُهَا

(١) الأرق: امتناع النوم على المرء.

(٢) فوق السهم: كان بأحد طرفي فوقه ميل أو انكسار، و(ال فوق): من السهم: حيث يثبت الوتر منه.

(٣) سُمُّ الْخِيَاطِ: ثقب الإبرة.

(٤) الحلي: البالغ الجودة والحلابة.

(٥) السُّمْلَقُ: القفر الذي لا نبت فيه.

(٦) الجنان: القلب، آخرقا: مدھوشًا متغيرًا.

(٧) صرف الدهر: نوابه □ الصفيح (هنا): حجارة رقيقة عريضة، كناية عن القبر.

(٨) جُلُّهَا: معظمها.

في الناس قد جلتْ وجَلَّ مُصابُها
كُلُّ الفضائل غلقت أبوابُها
ما اعتادها من قبلِ ذا أربابُها
أحوالُها مُستوِحشٌ محرابُها
من بعد ما زخرتْ وَعَبَ عَبَابُها^(١)
ويأشكَلتْ عن أن يُرَدَّ جوابُها
طَوِيتْ لِفَقْدِ الْيُفَهَا أثوابُها^(٢)

لِمُصِيَّةٍ عَزَّ العَزَاءُ لَهَا كَمَا
يَا إِيَّاهَا الْحَبْرُ الَّذِي مِنْ بَعْدِهِ
أَصْحَى عَلَى الدُّنْيَا لِفَقْدِكِ وَحْشَةٌ
مُسَوَّدَةٌ أَيَامُهَا مُتَغَيِّرَةٌ
لِلَّهِ أَيُّ بِحَارَ فَضْلٌ غَيْضَتْ
مِنْ لِلْمَسَائِلِ أَعْضَلَتْ مِنْ لِلْفَتَنِ
مِنْ لِلْتُقْنَى مِنْ لِلْحَيَا مِنْ لِلْحَجَجِ

وقال أبو الفضل يوسف بن محمد بن عبد الله الكاتب، قارئ دار الحديث، من قصيدة يرثي فيها أشيخه، بعد ذكر ابن الصلاح والساخاوي وأبي شامة وغيرهم :

[من الكامل]

ويفقهه الفقهاء مع الزهاد
نصر الشريعة دائمًا بجهاد
لخلوها من فضله المعتاد
قد كنت فيه جهيد النقاد^(٣)
أو من حديث عذر في الأفراد
أو كان موضوعاً لذي الإلحاد
أو من يعرف علة الإسناد

وكذاك محبي الدين فاق بزهده
القانت الأوّاب والhabr الذي
تبكيه دار للحديث وأهلها
لم يبق بعده للصحيح معرف
من ذا يبين مسندًا من مرسّل
أو كان مقطوعاً ضعيفاً معضلاً
أو من يبين منكراً في متنه

(١) غَيْضَتْ، (غَاضَتْ): نزلت وغابت في الأرض □ عَبَ الْبَحْرُ عَبَابًا: ارتفع موجه واصطبغ.

(٢) الْحَجَجِ: الستّر، أو العقل.

(٣) الْجِهِيدُ: الخبر بغمض الأمور.

بَيْنَ الْأَنَامِ كثِيرَةُ التَّرَدَادِ
وَدَفَعَتْ عَنْهُ شُبْهَةُ الْمُرَادِ^(١)

مِنْ ذَا لِدْفَعِ الْمُنَكَرَاتِ وَقَدْ غَدَتْ
وَنَصَرَتْ دِينَ اللَّهِ وَحْدَهُ جَاهِدًا

وقال العَفِيفُ التِّلْمَسَانِي^(٢):

[من الطويل]

فَمَا انتَصَفْتَ إِنْ لَمْ تَنْحُمِ الْمَدَارُسُ
فَإِنَّ النَّوَافِي قَدْ حَوَّحْتَهُ النَّوَافِسُ
سَعَوا لِلْعُلُى فِي أَرْضِهِمْ وَهُوَ جَالِسٌ
لَهَا مِنْ سَوْى الْأَقْلَامِ تَصْبُو نَوَافِسُ
إِذَا لَمْ تَسْاعِدَهَا الدَّمْوَعُ النَّفَائِسُ
أَسَى وَدَمْوَعُ الْغَادِيَاتِ بَوَاجِسُ
مَدَامَعُ فِيهَا دُرُّهَا مُتَجَانِسُ
فَمَاذَا عَسَى فِيهِ تَقُولُ الْمَجَالُسُ

نَعَمْ بَعْدَ «يَحْيَى» مَعْهُدُ الْفَضْلِ دَارِسُ
فِيَا صَبَرُ مُتْ عَنْدِي وَيَا حَزْنَ فَلْتَعِشُ
بَكْتَهُ مَسَاعِيهِ الَّتِي بَدَأَتِ الْأَلَى
وَنَاحَتْ عَلَيْهِ وَرَقْ أُورَاقِهِ وَمَا
وَأَقْسِمْ مَا نَفَسْ بَكْتَهُ نَفِيسَةُ
تَلَهَّبْ قَلْبُ الْبَرَقِ وَالرَّعْدُ صَارَخُ
وَظَلَّ وَبَاتَ اللَّؤْلُؤُ الرَّطْبُ حَاسِدًا
وَمَثْوَى الْذِي فِيهِ فَقَدْ حَسَدَ الثَّرَى

(١) المراد، واحدها: مارد: أي طاغية.

(٢) عفيف الدين، أبو الربيع سليمان بن علي العابدي ثم التمساني، الشاعر المتنقن المتفنن في علوم، منها النحو والأدب والفقه والأصول، وله في ذلك مصنفات، وله ديوان مشهور. وقد نسب هذا الرجل إلى عظام في الأقوال والاعتقاد في الحلول والاتحاد والزنقة والكفر المحضر. من شعره قوله:

يَا قاتلي فسيف طرْفَكَ أهون
غسلِي وَفِي ثوبِ السقَامِ أَكْفَنْ
وَالْوَرْدُ فَوْقَ الْبَانِ مَا لَا يَمْكُنْ
حَتَّى تَبَدَّلْ بِالشَّقِيقِ السُّوْسِنْ
فِي جَنَّةِ مِنْ وَجْنَتِهِ أَسْكَنْ
خَدِيَّهِ فِي صَبَحِ الْجَنَّينِ يَؤْذَنْ
تُوفَى سَنَةُ ٦٩٠ تَسْعِينَ وَسْتَمَائَةً. (فوات الوفيات: ٧٢/٢، البداية والنهاية: ٣٢٦/١٣، شذرات الذهب: ٤١٢/٥).

وَجَفْنُ سَمِيرُ النَّجْمِ مِنَ الْأَفْقِ نَاعِسُ
 أَصَالِعَ مَا فِيهَا سَوْيَ الذِّكْرِ هَاجِسُ^(١)
 فَيُنْقَادُ لِلْحَقِّ الْمَمَارِيِّ الْمُمَارِسُ^(٢)
 فَوْجَهُكِ يَا دُنْيَا مِنَ الْفَقْدِ عَابِسُ^(٣)
 لَدَيْهِ مِنَ الْحُورِ الْجِسَانِ عَرَائِسُ
 وَأَيْنَ أَضْحَى رَطْبَهُ وَهُوَ يَابِسُ
 تُرْجَى وَهَذَا مِنْهُ قَلْبِي آيْسُ^(٤)
 عَلَيْهِ وَلَا بُؤْسِي بِهَا الْقَلْبُ بَائِسُ
 أَعْشُ بَعْدَهُ لَمَا حَوْتَهُ الرَّوَامِسُ^(٥)
 مُلْئَتْ بِهَا سُكْرًا فَرَأْسُكَ نَاكِسُ
 أَمَا تَنْجَلِي بِالصُّبْحِ عَنْكَ الْحَنَادِسُ^(٦)
 وَعَهْدِي بِهَا مِنْ قَبْلِ وَهِيَ أَوَانِسُ^(٧)
 مَهَا يُرِيدُهَا بِالْقِسْيِ الْفَوَارِسُ^(٨)
 الْجَوَارِي لِدِينَا لَا الظِّباءُ الْكَوَانِسُ^(٩)

لَقَدْ كَانَ «يَحِيَّ» مُسْهَداً
 وَيَطْوِي عَلَى الدَّاءِ الدَّفِينِ مِنَ الطَّوَى
 وَيُرْضِي جَلِيسَ الْخَيْرِ مُمْتَعٌ بَحْثِهِ
 إِنْ تَضْحِكِ الْأَخْرَى سُرُورًا بِمَثْلِهِ
 وَكُنْتِ بِهِ مُثْلَ الْعَرْوَسِ فَأَصْبَحْتُ
 فِيلَلَهُ غُصْنًا عِنْدَمَا تَمَّ زَهْرَهُ
 وَيَدْرُ تَمَامٍ وَالْبَدْوُرُ مَتَّ تَغْبُّ
 فَأَقْسَمَ مَا النُّعْمَى بِهَا الْقَلْبُ نَاعِمٌ
 وَهَيْهَاتُ لَوْ أَنِّي صَدِيقٌ وَمَاتَ لَمْ
 فِيَا دَهْرٌ هَلْ كَانَتْ مَنَايِهِ أَكْوَسَاً
 وَيَا كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَهُ صَارَ لَيْلَةً
 لَقَدْ أَجْفَلْتُ غُرَى الْمَسَائِلِ بَعْدَهُ
 تَطَارَدَ مِنْهُنَ الشَّرُودُ كَأَنَّهَا
 وَلَوْ أَنَّهُ فِيَا لَعْذَنَا وَكُنْسُ

(١) طَوَى عَلَى الْأَمْرِ: لَمْ يَظْهُرْ، وَالْطَّوَى: الْجَوْعُ □ أَصَالِعَ = ضَلْوَعٌ: وَهِيَ عَظَامُ الصَّدْرِ.

(٢) الْمَمَارِيُّ: الْمَجَادِلُ وَالْمَنَاظِرُ، وَالْمَمَارِسُ: الْمَسَاوِمُ الْلَّجُوْجُ.

(٣) الْأَخْرَى: أَيِ الدَّارُ الْآخِرَةُ.

(٤) تُرْجَى: يُرْتَقِبُ ظَهُورَهَا مِنْ جَدِيدٍ.

(٥) الرَّوَامِسُ: الْقُبُورُ.

(٦) الْحَنَادِسُ: وَاحِدُهَا: الْجِنْدِسُ، وَهُوَ الْلَّيلُ الشَّدِيدُ الظَّلْمَةُ.

(٧) أَجْفَلْتُ: شَرَدْتُ وَنَفَرْتُ وَمَضَتْ سَرِيعًا □ الْعَرْزُ: (فَرَسٌ عَزِيزٌ): لَا سَرْجٌ عَلَيْهَا.

(٨) مَهَا: وَاحِدُهَا: مَهَا، وَهِيَ الْبَقَرَةُ الْوَحْشَيَةُ □ الْقِسْيُ: أَيُّ الْأَقْوَاسِ (وَاحِدُهَا: الْقَوْسُ).

(٩) الْكِنَاسُ: مُولِحٌ فِي الشَّجَرِ يَأْوِي إِلَيْهِ الظَّبَى لِيَسْتَرُ، وَ(الْجَوَارِيُّ الْكُنْسُ): هِيَ النَّجْمُونَ، لَأَنَّهَا تَكْنُسُ كَالظِّباءِ: تَغْبُّ وَتَسْتَرُ، تَبْدُو لَيْلًا وَتَخْتَفِي نَهَارًا.

لَهُ فِي رَسُولِ اللَّهِ وَالْأَلَّ أَسْوَةٌ
أَبُوا أَنَّ يَؤْبُوا نَحْنُ دُنْيَا دُنْيَةٍ
وَكَيْفَ تَبْكِيهِ وَتَعْلَمُ أَنَّهُ

وَاصْحَابُهُ عَنْهُمْ تَقْوَى الْعَوَادِسُ
مَلَابِسُهُ تَعْرَى بِهَا وَهُوَ لَا يُسْ
عَلَى مَا إِلَيْهِ صَارَ كَانَ يُنَافِسُ

خاتمة مشتملة على فوائد

الأولى: روى الحاكم في المستدرك^(١)، وأبو داود، وغيرهما، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مائَةٍ سَنَةً مَنْ يُجْدِدُ لَهَا دِينَهَا».

قال الإمام أحمد: فكان على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز، وعلى رأس المائة الثانية الإمام الشافعي. قالوا: وعلى رأس المائة الثالثة أبو العباس بن سُريج، وقيل الأشعري، والرابعة أبو الطيب سهل الصعلوكي، وقيل الشيخ أبو حامد إمام العراقيين، والخامسة الغزالى، والسادسة الفخر الرازى، وقيل الرافعى، والسابعة ابن دقيق العيد. هكذا ذكره ابن السبكي في الطبقات^(٢).

قلت: وقد ذكر شيخ شيوخنا زين الدين العراقي، في ترجمة جمعها للشيخ جمال الدين الأسنوي، أنه المبعوث على رأس المائة الثامنة، فالشيخ محبى الدين أحق بأن يكون على رأس المائة السابعة، بل هو أقرب إلى القرن من الأسنوي، فإن وفاته كما تقدم، سنة ست وسبعين، ووفاة الأسنوي سنة ثلاثة وثلاثين وسبعين، وفي ظني، أنَّ الشيخ

(١) المستدرك على الصحيحين: ٤/٥٢٢ (واللفظ: إلى هذه الأمة).

(٢) طبقات السبكي: ١/٢٠٠.

زين الدين العراقي نقلَ في ترجمته المذكورة، أن بعضهم ذكر ذلك في شأن النّوويِّ، وأنه قاسَ الأُسْنويَ عليه من حيث تأخُّر زَمِينه على رأس القرن. وقيل إنَّ المبعوث على رأس المائة الثامنة، شيخ الإسلام سراج الدين البُلقينيَ.

وقد نُظم في مَن تَقدَّمُ أَبْيَاتٌ مُفْرَقة، فقال بعضُهم يخاطب ابن سُريج^(١):

[من الكامل]

عُمَرُ الْخَلِيفَةُ ثُمَّ حِلْفُ السُّؤُدُ
إِرْثُ النَّبِيَّ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ
مِنْ بَعْدِهِمْ سُقِيًّا لِتُرْبَةِ أَحْمَدٍ

إِنَّا نَقْدَ مَضَيَا فَبُورِكَ فِيهِمَا
الشَّافعِيُّ الْأَلْمَعِيُّ مُحَمَّدٌ
أَبْشِرْ أَبَا الْعَبَّاسِ إِنَّكَ ثَالِثٌ

وقال بعضُهم مُذِيلًا^(٢):

[من الكامل]

أَصْحَى إِمامًا عِنْدَ كُلِّ مُوْحَدٍ
فِي الْعِلْمِ [أَرْجَا وَالْخَطِيبِ] مُؤَيَّدٌ
لِلْمَذْهَبِ الْمُخْتَارِ خَيْرٌ مُجَدِّدٌ^(٣)

وَالرَّابِعُ الْمَشْهُورُ سَهْلُ مُحَمَّدٍ
يَأْوِي إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ بِأَسْرِهِمْ
[لَا زَلْتَ] فِيمَا بَيْنَا [خَيْرُ الْوَرَى]^(٤)

(١) الإمام العلامة، شيخ الإسلام، القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سُريج البغدادي، شيخ الشافعية في عصره، وعنه انتشر فقه الشافعية في أكثر الأفاق. قال الشيخ أبو إسحاق: «كان ابن سريج يفضل على جميع أصحاب الشافعية، حتى المزنبي». وقال الشيخ أبو حامد (الأسفرايني): «نحن نجري مع ابن سريج في ظواهر الفقه دون دقائقه». بلغت مصنفاته أربعين ألف كتاب. مات سنة ٣٠٦ ست وثلاثين. (تذكرة الحفاظ: ٨١١/٣، طبقات الأُسْنوي: ٢٠/٢). والأبيات في المستدرك ٥٢٣/٤، والتذكرة: ٨١٣/٣، وغيرهما.

(٢) الأبيات في المستدرك: ٥٢٣/٤، طبقات السبكي: ٢٠٠/١.

(٣) في المستدرك: [إن خرجوا فنعم].

(٤) في المستدرك: [لا زال] و[شيخ الورى]، وعند السبكي: لا زال فيما بيننا حبر الورى.

وقال الشيخ تاج الدين السبكي مُذيلًا^(١):

[من الكامل]

بِمَعْوِثٍ لِلَّدِينِ الْقَوِيمِ الْأَيَّدِ
هَذَا وَعَلَّهُمَا أَمْرَانَ فَعَدَدٌ
كَنْظِيرٌ ذَلِكَ فِي فُرُوعِ مُحَمَّدٍ
هَذَا وَذَاكَ لِيَهْتَدِي مَنْ يَهْتَدِي
يُنِي رَابعُهُمْ وَلَا تُسْتَبِعَ
جِزْبُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ مُحَمَّدٍ
هُوَ حَجَّةُ الْإِسْلَامِ دُونَ تَرْدُدٍ^(٢)
هُوَ لِلشَّرِيعَةِ كَانَ أَيَّ مُؤَيَّدٍ
رِّمْوَتِهِ كَالْأَشْعُرِيِّ وَأَحْمَدٍ
فَالْقَوْمُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ أَوْ أَحْمَدٍ
يَ وَسْهَلٌ الْمَأْثُورُ فِي ذَا الْمُسَيْنِدِ^(٣)
أَصْحَابِنَا فَافْهَمُ وَأَنْصِفْ تُرْشِدِ
أَجْلَى دَلِيلٍ وَاضْحِي لِلْمُهْتَدِي
دَعْ ذَا التَّعَصُّبِ وَالْمِرَاءِ وَقَلَدِ
الْعَالَمِ الْمَبْعُوثُ خَيْرٌ مُجَدِّدٌ
يَا أَيُّهَا الْمُسْكِنُ لَمْ لَا تَقْتَدِي^(٤)

[من الكامل]

الرَّافِعِيُّ وَلَيْسَ بُمُسْتَبِعِدٍ^(٥)

ويقال إن الأشعري الثالث الـ
والحق ليس بمنكر هذا ولا
هذا لِنَصْرَةِ أَصْلِ دِينِ مُحَمَّدٍ
وَضْرُورَةِ الْإِسْلَامِ دَاعِيَةً إِلَى
وَقَضَى أَنَّاسٌ أَنْ أَحْمَدَ الْأَسْفَرا
فَكِلاهُمَا فَرَدَ الْوَرَى الْمَعْدُودُ مِنْ
وَالخَامِسُ الْحَبْرُ الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ
وَابْنُ الْخَطِيبِ السَّادِسُ الْمَبْعُوثُ إِذ
[وَالرَّافِعِيُّ كَمِثْلِهِ لَوْلَا تَأْخُ
وَالسَّابِعُ ابْنُ دَقِيقِ عَيْدٍ فَاسْتَمْعُ
[إِنْ نَتَفِ عنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ وَالْأَشْعَرِ
وَانْظُرْ لِسَرِّ اللَّهِ أَنَّ الْكُلَّ مِنْ
هَذَا عَلَى أَنَّ الْمَصِيبَ إِمَامًا
يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُرِيدُ نِجَاتُهُ
هَذَا ابْنُ عَمِّ الْمُضْطَفِي وَسَمِيَّهُ
وَضَحَّ الْهُدَى بِكَلَامِهِ وَبِهَدِيهِ

وَقُلْتَ أَنَا مُذَيَّلًا :
وَيُقَالُ إِنَّ السَّادِسَ الشِّيخَ الْإِمَامَ

(١) طبقات السبكي: ٢٠٢/١.

(٢) يقصد به الإمام الغزالى رضى الله عنه.

(٣) في طبقات السبكي: فانظر.

(٤) لم لا تهتدى: عند السبكي.

(٥) ولعله: (بالمستبعد)، كي يستقيم ميزان البيت.

حقيقاً أصل دين محمد
قد حرر الدين الرضي للمقتدي
منقح الأحكام للمسترشد
بلقينه نقلوا ولا تستبعد
كان لأهل الدين أفضل مرشد
فرداً عنده عن مفرد
ما قد أراد به حديث المرشد^(١)
مفادها للجمع أظهر فاهتد^(٢)

فهو المجدد للفروع وذلك المحي
والسابع الشيخ النواوي الذي
والثامن الشيخ الجمال الأسنوي
والعالم الأسمى سراج الدين ذو
فلاهم شيخاً أولاء العصر قد
والحق أن المبعث لا يختص
بل كل حبّر كان موجوداً فهو
ودليله أن الغموس لمن يري

الثانية: في سلسلة الفقه للشيخ .

قال الشيخ في تهذيب الأسماء واللغات^(٣): «وهذا من المطلوبات والنفائس الجليلات، التي ينبغي للمتفقه والفقير معرفتها، [ويقبح]^(٤) جهالتها، فإن شيوخه في العلم آباء في الدين، [ووصلة]^(٥) بينه وبين رب العالمين. وكيف لا يقبح جهل [الأنساب]^(٦)، والوصلة بينه وبين ربِّ الكريم الوهاب، مع أنه مأمور بالدعاء لهم وبرهم، وذكر ما ذرهم، والثناء عليهم، فاذكُرُهم مني إلى رسول الله ﷺ، وحينئذ يعرف من كان في عصرنا وبعده طريقه باجتماعها هي [وطريقتي]^(٧) قريباً».

(١) حديث رسول الله ﷺ، وقد تقدم .

(٢) الغموس: الشجاع، أو الشديد من الرجال.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات: ١٧/١ .

(٤) في التهذيب: وتقبح به.

(٥) في التهذيب: وصلة.

(٦) في التهذيب: الإنسان.

(٧) في التهذيب: طريقي .

قال^(١): «فَأَمَا أَنَا فَأَخْذُ الْفِقَهَ قِرَاءً وَتَصْحِيفًا وَسَمَاعًا وَشَرْحًا وَتَعْلِيقاً، [مِنْ جَمَاعَةٍ]^(٢)، أَوْلَاهُمْ شِيخِي الْإِمامُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَغْرِبِيُّ، ثُمَّ شِيخُنَا عَبْدُ الرَّحْمَنَ بْنَ نُوحَ الْمَقْدَسِيُّ، ثُمَّ شِيخُنَا أَبُو الْحَسْنِ سَلَّارُ بْنِ الْحَسْنِ الْإِرْبَلِيُّ. وَتَفْقِهُ شِيخُنَا الْثَلَاثَةِ الْأَوَّلَوْنَ عَلَى الْإِمامِ أَبِي عُمَرِ بْنِ الصَّلَاحِ، وَتَفْقِهُ هُوَ عَلَى وَالَّدِهِ [وَتَفْقِهُ وَالَّدِهِ]^(٣) فِي طَرِيقَةِ الْعَرَاقِيَّينَ، عَلَى أَبِي سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَصْرُونَ، وَأَبُو سَعِيدٍ عَلَى أَبِي عَلِيِّ الْفَارَقِيِّ، وَالْفَارَقِيُّ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقِ الشِّيرَازِيِّ، وَالشَّيْخُ عَلَى الْقَاضِيِّ أَبِي الطَّيْبِ الطَّبَرِيِّ، وَالْقَاضِيُّ عَلَى أَبِي الْحَسْنِ الْمَاسْرَجِسِيِّ، وَهُوَ عَلَى أَبِي إِسْحَاقِ الْمَرْوَزِيِّ، وَهُوَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ سَرِيعٍ، وَهُوَ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ الْأَنْمَاطِيِّ، وَهُوَ عَلَى الْمُزْنِيِّ، وَهُوَ عَلَى الشَّافِعِيِّ، وَهُوَ عَلَى مَالِكٍ، وَهُوَ [عَلَى رَبِيعَةِ وَنَافِعٍ، وَهُمَا عَلَى ابْنِ عُمَرَ]^(٤)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ».

قال^(٥): «وَأَمَا طَرِيقَةُ الْخَرْسَانِيَّينَ، فَأَخْذَتْهَا عَنْ شِيخُنَا الْمَذْكُورِيْنَ، عَنْ ابْنِ الصَّلَاحِ، عَنْ وَالَّدِهِ، عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْبَزْرِيِّ [الْجَزَرِيِّ]، عَنْ أَبِي الْحَسْنِ عَلِيِّ بْنِ]^(٦) الْكِيَّا، عَنْ أَبِي الْمَعَالِيِّ إِمامِ

(١) المصدر السابق: ١٨/١. (نقله السيوطي مجتزئاً من الأسماء، ومجرداً إياها عن الألقاب أو عبارات الثناء والإجلال التي ذكرها النووي في التهذيب، ولم أشر إلى هذا الاختلاف في الحاشية).

(٢) في التهذيب: عن جماعات.

(٣) []: ساقط في الأصلين، وإثباته من التهذيب.

(٤) في التهذيب: [على ربعة عن أنس، وعلى نافع عن ابن عمر، كلاهما].

(٥) المصدر السابق: ١٩/١.

(٦) ساقط في الأصلين، وإثباته من التهذيب.

الحرَمَيْنِ، عن والده، عن أبي بكر عبد الله بن أحمد القفال [المروزي]^(١) الصغير، عن أبي زيد المروزي، عن أبي إسحاق المروزي، عن ابن سُرِّيج ، بسنده السابق».

قال^(٢): «وتفقه شيخنا سلَّار على الإمام أبي بكر الماهاني ، وهو على ابن البزري ، بطريقه السابق». انتهى .

قلت: وأنا أخذت الفقه عن جماعة، أجلَّهم شيخنا قاضي القضاة شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن سلَّار البليقيني ، وهو عن جماعة، منهم الشيخ شمس الدين بن عذلان ، وهو عن الوجيه عبدالوهاب بن حسن البهنسى ، وهو عن البهاء الجميزي ، وهو عن أبي عصرون بطريقه السابق. فباعتبار طريقنا هذا، كأن شيخي أخذه عن النَّووى .

الثالثة: في نسبة الشيخ الحِزاميّ .

قال ابن العطّار: ذكر لي الشيخ قدس الله روحه، أن بعض أجداده كان يزعم أنها نسبة إلى حكيم بن حِزام . قال الشيخ: وهو غلط، بل إلى حِزام ، جَدَ لنا نَزَل الجولان بقرية نَوَى على عادة العرب، فأقام بها ورزقه الله ذُرِيَّةً إلى أن صار منهم خَلْقٌ كثير.

الرابعة: نَوَى .

فيها يقول بعضُهم^(٣):

[من الكامل]

لقيت خيراً يا نَوَى وُكفيت من شرِّ النَّوَى

(١) ساقطة في الأصلين، واستدركناها من المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: ١٩/١ .

(٣) القائل هو ابن الوردي، والأبيات في تاريخه (تتمة المختصر في أخبار البشر

٣٢٣/٢ كالآتي :

فِلْقَدْ نَشَابِكْ عَالِمْ لِلَّهِ أَظْهَرَ مَا نَوَى
وَعَلَى عَدَاهُ فَضْلُهُ فَضْلُهُ فَضْلُهُ فَضْلُهُ
وَالنَّسْبَةُ إِلَيْهَا: نَوْوِيٌّ، بِحَذْفِ الْأَلْفِ بَيْنَ الْوَاوَيْنِ عَلَى الْأَصْلِ،
وَقَلْبُ الْأَلْفِ الْأَصْلِيَّةِ وَأَوْاً. وَيُقَالُ: نَوَوِيٌّ، بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ وَالْأَلْفِ بَدَلًا
عَنْ إِحْدَى يَاءِ النَّسْبِ، كَمَا يُقَالُ: يَمْنِي وَيَمَانِي، بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ فِي
الثَّانِيَةِ. وَرَأَيْتَ كِلاً الْأَمْرَيْنِ فِي خَطْهِ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَرَأَيْتَ فِي تَعْلِيقَةِ الْقاضِي عَزَّ الدِّينِ بْنِ جَمَاعَةَ، بِخَطْهِ:
قَالَ ابْنُ الْعَطَّارَ:

لَمَّا وَدَّعْتُ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ الدِّينَ النَّوَوِيَّ بِنَوَى، حِينَ أَرْدَتُ السَّفَرَ
لِلْحَجَّ، حَمَلَنِي السَّلَامُ إِلَى الْإِمَامِ أَبِي الْيَمْنِ بْنِ عَسَاكِرٍ، فَلَمَّا بَلَغْتُهُ
سَلَامَهُ، رَدَ عَلَيَّ وَسَالَنِي: أَيْنَ تَرَكْتَهُ؟ .

فَقُلْتُ: بِبَلْدَةِ نَوَى. فَأَنْشَدَنِي :

[من الكامل]

أَمْجُمِعِينَ عَلَى نَوَى اشْتَاقَكَمْ شَرْفًا يَجْدَدُ لِي الصَّبَابَةُ وَالْجَوَى^(۱)
فَأَرُومُ قَرْبَكُمْ لَأَنِّي مُرْتَجٍ بِ سَادَتِي قَرْبَ الْمُقِيمِ عَلَى نَوَى

= لَقِيتُ خَيْرًا يَا نَوَى
فِلْقَدْ نَشَابِكْ زَاهِدْ
وَعَلَى عَدَاهُ فَضْلُهُ
(نَوَى: مَسْقَطُ رَأْسِ الشَّيْخِ □ النَّوَى: ثَعْدَةٌ، وَتَحْوِنَةٌ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرِ □ نَشَابِكْ =
نَشَابِكْ نَوَى: قَصْدٌ وَعَزْمٌ □ النَّوَى: عَجَمٌ تَحْرِيرٌ وَتَرْبِيبٌ وَنَحْوُهُمَا، أَوْ بَذْرَهُ، وَاحِدَهَا: نَوَاهٌ.
وَلَعْلُ الْوَزْنُ الشَّعْرِيُّ يَسْتَدْعِي وَوْ فِي بَدْءِ نِيَّتِ الْأَوَّلِ: وَلَقِيتَ).

(۱) مُجَمِعِينَ عَلَى نَوَى: عَازِمِينَ عَلَى تَرْحِيلِ بَيْهِ □ نَحْوِي: شَدَّةُ الْوَجْدُ مِنْ حَبٍّ أَوْ حَزْنٍ. وَلَعْلُ الْأَصْوَبُ أَنْ يُقَالُ: أَيْ مُجَمِعِينَ وَوْ: يَا مُجَمِعِينَ، لِيَسْتَقِيمَ مِيزَانُ الْبَيْتِ.

الخامسة: والد الشيخ، الشيخ شرف.

ذكر الصلاح الصفدي في تاريخه إسناد حديث الشيخ رحمة الله تعالى، أخبرني شيخ الإسلام عَلَمُ الدِّين البَلْقَيْنِي إجازة عن والده، عن الحافظ أبي الحجاج المِزَّي، أنبأنا الإمام أبو زكريا التَّنْوُوي، أنبأنا الإمام ابن قدامة المقدسي، حدثنا أبو حفص بن طبرزد، حدث وكتب إلى عاليًا بدرجتين أبو عبد الله الحلبـي، عن الصلاح بن أبي عمرو، عن أبي الحسن بن البخارـي، أنبأنا ابن طبرـز، أنبأنا أبو محمد الجراحي، أنبأنا أبو العباس المحبوبـي، أنبأنا أبو عيسى الترمذـي، أنبأنا عبد الله بن أبي زيـاد، أنبأنا سيـار، أنبأنا عبد الواحد بن زيـاد، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود^(١)، قال:

قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم حين أُسْرِيَ بي، فقال: يا محمد أَقْرِئْ أُمْتَكَ مِنِّي السَّلامَ وَاخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التَّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ». قال الترمذـي: حديث حسن.

قال الشيخ في التهذيب^(٢):

(١) كذا وردت السلسلة في كتاب السيوطي، ولقد رأيتها في التهذيب للنـوـوي (١٠٠/١) كـالـآـتي: «أنـبـأـنا الإـمامـ ابنـ قدـامـةـ المـقدـسـيـ، حدـثـناـ أبوـ حـفـصـ بنـ طـبـرـزـدـ، أنـبـأـناـ أبوـ الفـتحـ الـكـرـوـخـيـ، أنـبـأـناـ القـاضـيـ أبوـ عـامـرـ، أنـبـأـناـ مـحـمـدـ الـجـراـحـيـ، أنـبـأـناـ أبوـ العـبـاسـ المـحـبـوبـيـ، أنـبـأـناـ أبوـ عـيسـىـ التـرـمـذـيـ، حدـثـناـ عـبـدـ اللهـ بنـ أـبـيـ زيـادـ، حدـثـناـ سـيـارـ، حدـثـناـ عبدـ الـواـحدـ بنـ زيـادـ، عنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بنـ إـسـحـاقـ، عنـ القـاسـمـ بنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ، عنـ أـبـيهـ، عنـ ابنـ مـسـعـودـ».

(٢) تهـذـيبـ الأـسـمـاءـ وـالـلـغـاتـ: ١٠١/١

«قد مَنَّ اللَّهُ الْكَرِيمُ عَلَيْنَا [أَن] ^(١) جَعَلَ لَنَا رَوَايَةً مُتَصَلَّةً وَسَبِيلًا مُتَعْلِقًا بِخَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ وَصَفِيهِ. [كَمَا مَنَّ عَلَيْنَا بِذَلِكَ فِي حَبِيبِهِ وَخَلِيلِهِ وَصَفِيهِ مُحَمَّدَ وَصَفِيهِ] ^(٢)».

أخبرني أبو الفضل محمد بن عمر، أئبنا علي بن إبراهيم، أئبنا يحيى بن شرف الفقيه، أئبنا خالد بن يوسف، حدث وكتب عن أبي الحسن بن البخاري، قالا: أئبنا أبو اليمين الكندي، أئبنا المبارك بن الحسين، أئبنا علي بن أحمد، أئبنا محمد بن عبد الرحمن، أئبنا عبدالله، حدثنا شيبان، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من طلب الشهادة صادقاً من قلبه، أعطيها ولو لم تُصبِّه». أخرجه مسلم ^(٣).

وقد ختمنا بهذا الحديث كتابنا، رجاء أن يختتم الله لنا بالشهادة، وأن يجعلنا من الذين لهم الحسنة وزيادة.

آخر الكتاب

(١) [و]: في المصدر السابق.

(٢) ساقط في الأصلين، واستدركناه من المصدر السابق، وقد جاء الكلام هذا - في مصدره - عند ابتداء الحديث الذي سلف، وليس في ختامه.

(٣) صحيح مسلم، (كتاب الجهاد).

وكتب الناسخ في (E):

قال مؤلفه : «فرغت من تأليفه يوم السبت ثالث عشر صفر سنة إحدى وسبعين
وثمان مائة ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآلها وصحبه وسلم» .

ووافق الفراغ من كتابته يوم الثلاثاء المبارك ثاني شهر صفر الخير من شهور
سنة خمسة وتسعين وتسعمائة ، على يد العبد الضعيف الحقير الفقير المعترف
بالعجز والقصير الراجي عفوا ربه الكريم السرمد ، محمد بن أحمد المقرئ ، الشهير
بالمديني ، المصري بلداً ، الأزهري موطنًا ، الشافعي مذهبًا ، لطف الله به ورحم
والديه ومشايشه ، وغفر له ولهم ولجميع المسلمين . أمين يا رب العالمين ، أمين .
وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله
على سيدنا محمد وآلها وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين ، أمين .

وكتب في (B):

وهذا آخره والله أعلم . اللهم صل على سيدنا محمد وآلها وصحبه وسلم ،
آمين .

تمّت ، وبالخير عمّت على يد كاتبها لنفسه ، غفر الله له ولوالديه ، الفقير
عبدالرحمن ، يوم السبت الثالث من شهر ذي الحجة الحرام ، الذي هو من شهور
سنة ألف ومائتين وواحد .

ثُبَّتَ المَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ

- ١ - ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي
● بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، نشر: فرانز شتاينر، فيسباردن (النشرات الإسلامية: هـ. ريت، أـ. ديريش)، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م.
- ٢ - ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني
● إحياء الغمر بأبناء العمر، من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، بإعانته وزارة المعارف للحكومة الهندية، بمراقبة دـ. محمد عبد المعيد خان، الطبعة الأولى، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.
● الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
- ٣ - ابن حنبل، أحمد
● المسند (بهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) المكتب الإسلامي ودار صادر، بيروت.
- ٤ - ابن العماد، أبو الفلاح عبدالحي الحنبلي
● شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت.
- ٥ - ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم
● تاريخ ابن الفرات، تحقيق: دـ. قسطنطين زريق، المطبعة الأميركانية، بيروت، ١٩٤٢ م.
- ٦ - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر
● البداية والنهاية، مكتبة المعارف (بيروت)، ومكتبة النصر (الرياض)، الطبعة الأولى، ١٩٦٦ م.

- ٧ - ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم
● لسان العرب، دار صادر ودار بيروت، (بيروت)، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- ٨ - ابن الوردي، عمر زين الدين
● تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)، تحقيق: أحمد البدراوي، دار المعرفة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م.
- ٩ - الأستوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن
● طبقات الشافعية، تحقيق: عبدالله الجبوري، نشر رئاسة ديوان الأوقاف بالجمهورية العراقية، الطبعة الأولى، بغداد، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- ١٠ - البغدادي، إسماعيل باشا
● إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، المكتبة الإسلامية، الطبعة الثالثة، طهران ١٩٦٧ م - ١٣٧٨ هـ.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، بعناية وكالة المعارف باستنبول (١٩٥١)، أعادت طبعه المكتبة الإسلامية والجعفرية تبريز، الطبعة الثالثة، طهران، ١٩٦٧ م - ١٣٨٧ هـ.
- ١١ - الترمذى، أبو عيسى محمد بن عيسى
● الجامع الصحيح (بشرح الإمام أبي بكر ابن العربي)، طبع عبد الواحد التازى، القاهرة، ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م.
- ١٢ - الحموي، ياقوت بن عبد الله
● معجم البلدان، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- ١٣ - الحكم، أبو عبدالله محمد النسابورى
● المستدرک على الصحيحين في الحديث (في ذيله تلخيص المستدرک)، مكتبة النصر للحديث، الرياض.
- ١٤ - خليفة، حاجي
● كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد.
و: المكتبة الإسلامية والمكتبة الجعفرية بطهران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

١٥ - الدقر، عبد الغني

- الإمام النووي، (أعلام المسلمين: ١٠)، دار القلم، الطبعة الثالثة، دمشق، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٦ - الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد

- تذكرة الحفاظ، من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، دار إحياء التراث العربي، الناشر: محمد أمين دمج، الطبعة الرابعة، بيروت.

١٧ - الزركلي، خير الدين

- الأعلام، قاموس تراجم، الطبعة الثالثة.

١٨ - السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي

- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلوي، مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م.

- طبقات الشافعية الكبرى، طبع عبدالكريم القادري الحسني، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى.

١٩ - السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن

- ترجمة النووي، بعناية محمود حسن ربيع، جمعية النشر والتأليف الأزهرية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م.

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٢٠ - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد

- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، طُبع مصطفى فهمي الكتبى، القاهرة.

٢١ - الشرقاوى إقبال، أحمد

- مكتبة الجلال السيوطي، دار المغرب، الرباط، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

٢٢ - الصدقي، صلاح الدين خليل بن أبيك

- الوافي بالوفيات، باعتناء: هلموت ريتز، طبع انتشارات جهان، طهران.

٢٣ - الطنطاوي، علي

- الإمام النووي، (أعلام التاريخ : ٤)، دار الفكر، الطبعة الثانية، دمشق، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٢٤ - الكتبى، محمد بن شاكر.

- فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣ م.

٢٥ - كحالة، عمر رضا

- معجم المؤلفين، تراجم مصنّفي الكتب العربية، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٦ - مَجْمُعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

- المعجم الوسيط.

٢٧ - مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري

- الجامع الصحيح (بشرح النووي)، المطبعة المصرية ومكتبتها، القاهرة.

٢٨ - المطبعة الكاثوليكية

- المنجد في اللغة والأعلام.

٢٩ - النووي، محبي الدين يحيى بن شرف

- التبيان في آداب حملة القرآن، دار الفكر.

- تهذيب الأسماء واللغات، نشر إدارة الطباعة المنيرية.

٣٠ - اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد

- مرآة الجنان وعبرة اليقطان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت.

المحتوى

الصفحة	الموضوع
٥	الإهداء
٧	نقدمة
١١	توثيق الكتاب وتحقيقه
١١	- نسبة الكتاب
١١	- اسم الكتاب
١٢	- النسخ المعتمدة في التحقيق
١٣	- منهجنا في التحقيق
١٤	- رموز وأصطلاحات
١٥	نماذج مصورة من المخطوطتين
١٩	ترجمة الإمام السيوطي
١٩	- نسبة ونشأته
٢٠	- شيوخه ومكانته
٢٠	- أخلاقه
٢١	- وفاته

المنهج السوي في ترجمة الإمام النووي

٢٥	- خطبة الكتاب
٢٥	- نسب الإمام النووي
٢٦	- فضائله
٢٧	- ثناء الناج السبكي عليه في الطبقات

٢٨	- ثناء ابن فضل الله عليه في المسالك
٣٠	- شهادة تلميذه ابن العطار فيه
٣٠	- كرامة له في صغره
٣١	- بلوغه العشرين والتقاء الشيخ المراكشي به
٣١	- أول قدومه إلى دمشق وإقامته بالرواحية
٣٢	- اشتغاله بالعلم
٣٣	- حجّه
٣٣	- مرضه في أثناء الحج
٣٤	- تلقيه إثني عشر درساً كل يوم
٣٥	- محاولة اشتغاله بعلم الطب
٣٦	- تمثيل إبليس له في هيئة شيخ صالح
٣٧	- ذكر شيوخه
٣٧	- شيوخه في الفقه
٣٧	- شيوخه في اللغة
٣٨	- شيوخه في الحديث
٣٩	- غيرهم من الشيوخ في سائر العلوم
٤٢	- مسموعاته
٤٢	- حرصه على عدم تضييع وقته
٤٣	- اشتغاله بالتصنيف ومجاهدة النفس
٤٣	- هيئة صلاته
٤٤	- تقشفه في عيشه
٤٦	- ورعه
٤٧	- ثناء الأخميمي عليه
٤٧	- ثناء الظهير الإربلي عليه
٤٧	- لباسه
٤٧	- ثناء التقى السبكي عليه
٤٨	- ذكر كرامة له
٤٨	- توليه مشيخة دار الحديث الأشرفية

٤٨	- اشتغاله بالتعليم
٤٩	- شهادة تلميذه ابن فرح فيه
٤٩	- كرامة له يرويها الشيخ أبو القاسم المزري
٥٠	- وكرامة أخرى له عن الشيخ فرج الصفدي
٥١	- تعظيم والد التاج السبكي لنبووي
٥٢	- ذكر بعض من أخذ عنه
٥٣	- ذكر تصانيفه
٥٣	- طريقة النبووي في التصنيف
٥٤	- الكلام على كتابه الروضة
٥٥	- الكلام على شرح صحيح مسند
٥٥	- الكلام على كتاب المجموع
٥٦	- من خطبة التقى السبكي في تكمة المجموع
٥٧	- كتابه المنهاج
٥٨	- ما قيل في المنهاج من الشعر
٦٠	- كتابه تهذيب الأسماء واللغات
٦١	- نكت التنبيه
٦٢	- البيان
٦٢	- الكلام على شرح الوسيط
٦٣	- سائر مصنفاته
٦٥	- أمره ابن العطار بغسل الكثير من تصانيفه
٦٦	- ذكر شيء من مكاتباته
٦٦	- كتابه إلى الأمير بدر الدين الخزندار
٦٨	- ردّه على جواب الظاهر وفيه كيف تكون عزيزة عنة
٧١	- كتابه إلى الملك الظاهر لما حنّط عسى أعداؤه أن يتعلّق
٧٤	- كتابه إليه بسبب التضييق على تقبّل
٧٧	- ذكر وفاته رحمة الله
٧٧	- ظهور أumarات تدل على قرب وفاته
٧٨	- زيارته القدس والخليل

٧٨	- مرضه
٧٩	- وفاته
٧٩	- وقع نبأ وفاته في دمشق
٨٠	- رؤية بعض أهله له في المنام
٨٢	- ذكر شيء مما رأي به
٨٢	- قصيدة لشيخ الأدب أبو عبدالله الأربيلي
٨٤	- أبيات أخرى له
٨٥	- شعر لقاضي القضاة ابن صصري
٨٦	- شعر لإبن المظفر الكندي
٨٨	- شعر لإبن فضل الله
٨٨	- شعر لأبي الحارث الأنصاري
٨٩	- شعر لأبي عبدالله الميلمي
٩٠	- من قصيدة لأبي الفضل الكاتب
٩١	- شعر للعفيف التلمساني
٩٥	خاتمة مشتملة على فوائد
٩٥	- الفائدة الأولى
٩٨	- الفائدة الثانية
١٠٠	- الفائدة الثالثة
١٠٠	- الفائدة الرابعة
١٠٢	- الفائدة الخامسة
١٠٣	- آخر الكتاب
١٠٥	ثبت المصادر والمراجع

